الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الاعتدال والمجون في شعر "ابن رشيق القيرواني"

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: دراسات أدبية.

التخصص: أدب عربي قديم.

إعداد الطالبة:
*- منى ريغي

إشراف الأستاذ:
*-عمار قرايري

السنة الجامعية: 2019/2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۚ

أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

البقرة

شكر وعرفان.....

الشكر لله الذي وفقنا وأعاننا

والحمد لله الذي يسر لنا أمورنا

سبحانه نعم المرشد والمعين

إلى أستاذي المشرف "عمار قرايري" جزيل الشّكر والامتنان على حسن التّوجيه

والنّصح والثّقة الّتي منحني إيّاها وإلى كلّ من مدّ لنا يد العون من أساتذة

قسم اللّغة العربيّة وآدابها وبخاصة العربي الأسد، يوسف بن جامع، وبشير عروس

والشكر موصول لعائلتي الكريمة وكلّ من أعانني ولو بكلمة طيبة.

إهداء

إلى والدي الكريم أعزه الله

إلى أمي حلوة اللّبن

إلى العزيزتين: فاتن وسناء...

إلى الغالي: ياسر...

إلى صديقاتي...

إلى عيسى...

إلى كلّ من علمني حرفا...

إلى كلّ من شغف باللسان العربي حبًّا...

إليهم جميعا أهدي ثمرة جهدي المتواضع

مقـدمـــــــــة

مقدمـــــة:

حظي الأدب العربي القديم في بلاد المغرب بشعراء مرموقين، تركوا نصوصًا شعرية شكلت إرثًا أدبيًا وفكريًا قيمًا، عُدَّ شاهدًا على حقبة زمنية بصم شعراؤها بصماتهم في تاريخ الحضارة العربية كحال الشاعر المغربي القيرواني "ابن رشيق"، الذي جاء شعره نموذجًا حيًا لعصره، والذي كان ثمرة لعاملين: الأول هو البيئة المغربية التي كان لها صدى في صقل مواهبه الأدبية الشعرية والكشف عنها، والثاني هو شخصيته التي كانت مصدر إلهام له، ويمكن أن نميّز _في هذا الصدد_ بين نوعين من الشعر عند "ابن رشيق" من خلال ديوانه الذي زخر بالعديد من القصائد والمقطوعات، التي جاءت ممزوجة بين ما هو معتدل وما هو ماجن، ليكون موضوع بحثي هو "الاعتدال والمجون في شعر ابن رشيق القيرواني".

وفي هذا البحث سعيت جاهدة للإجابة عن مجموعة من التساؤلات التي علقت بذهني، والتي لا تبرح تفرض نفسها منذ أن طُرِحَ عليَّ هذا الموضوع منها:

- من هو "ابن رشيق القيرواني"؟ وما هي البيئة التي عاش فيها؟ وكيف كان تأثيرها على شخصيته؟
- ماذا نقصد بالاعتدال والمجون؟
- وكيف تجلت هذه الثنائية الضدية _الاعتدال والمجون_ في الأغراض والفنون الشعرية عند "ابن رشيق"؟

وكان اختياري لهذا الموضوع هو استجابة لرغبتي الجامحة في المساهمة في طرق دفتي ديوان "ابن رشيق"، ومعرفة ما يكتسيه من شاعرية وخصب ونماء، وتعدد في الأغراض والفنون الشعرية، وتشوقي الشديد إلى معرفة شخصية "ابن رشيق" الشاعر المتميز الذي سجل اسمه بأحرف من ذهب في مجال الأدب والشعر، وذلك بتحليلي لظاهرتي الاعتدال والمجون، هذه الثنائية الضدية التي كشفت عن تفنّنه في هذا النوع من القريض.

وكذا نقص الدراسات حول الأدب المغربي القديم _في ما أعلم_ بمختلف فنونه وأشكاله، إذ لا نجد ما يشبع حاجة الباحثين في التعرف على آثار منطقة تابعة للحضارة الإسلامية منذ زمن غابر.

وأعترف أنني لست السباقة في دراسة شعر "ابن رشيق" ولكن قد يعود إليَّ فضل السبق في دراسة الاعتدال والمجون عنده وهذا حسب علمي المحدود، وقد سبقني من هو أدرى وأعلم مني إلى دراسة شعره ونجد ذلك في كتاب "ابن رشيق القيرواني" وكتاب "ابن رشيق الناقد الشاعر" للكاتب "عبد الرؤوف مخلوف".

أما الهدف من هذه الدراسة فليس جمع المادة العلمية فقط، بل هو الوقوف على معرفة مدى تأثير البيئة المغربية على شخصية "ابن رشيق"، من خلال تحليل شعره بين الثنائية الضدية، أعني الاعتدال والمجون.

وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي منهجًا رئيسًا، واستعنت بمجموعة من المناهج الأخرى كلما استدعاها طارئ البحث، كالمنهج التاريخي والنفسي والاستقرائي والفني وغير ذلك من المناهج.

وقد قسمت بحثي إلى مدخل وفصلين.

تناولت في المدخل البيئة السياسية والاجتماعية والأدبية في عصر "ابن رشيق القيرواني"، كانت أرضية لهذا البحث، والفصل الأول جاء تحت عنوان: "الشاعر وشعره"، تناولت فيه ثلاثة مباحث، في المبحث الأول: قمت بتعريف الشاعر، أما المبحث الثاني: تحدثت عن "ابن رشيق" الناثر والمبحث الثالث والأخير: تحدثت عن "ابن رشيق" الشاعر.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه "تجليات الاعتدال والمجون في شعر ابن رشيق" وقسمته إلى ثلاثة مباحث، كان المبحث الأول: لمظاهر الاعتدال والاستقامة في شعره، أما

المبحث الثاني: فأفردته لمظاهر المجون واللهو في شعره، ثالثًا وأخيرًا: تحدثت فيه عن عبثية "ابن رشيق" ، ثم أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها خلاصة لنتائج البحث.

وقد أفادت الدراسةَ جُملةُ من المصادر والمراجع التي أثرت البحث، وذلّلت صعوباته، أهمها:

"الديوان" الشعري لـ "ابن رشيق" بالدرجة الأولى، وكتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لـ "ابن بسام الشنتريني"، وكتاب "إِنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة" لـ "القفطيّ"، وكتاب "بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق" لـ "حسن حسني عبد الوهاب"، وغيرها من المصادر والمراجع الّتي اعتمدت عليها انطلاقا من الأصل والّتي لا يسع المقام لحصرها.

قد واجهتني صعوبات لم آت على ذكرها كون كل بحث علمي وكل دراسة أكاديمية تحفها الصعاب والعقبات.

وأشكر الله العلي القدير الذي الهمني الصبر وقوة الإرادة وثبات العزيمة من أجل إتمام هذا العمل المتواضع، الذي أتمنى أن يضيف ولو قليل الإضافة لكل من يطرق باب شعر "ابن رشيق".

وفي الأخير لا يسعني إلاّ أن أتقدم بجميل العرفان وجزيل الشكر لأستاذي الفاضل: "عمار قرايري" الذي غمرني برعايته وسقاني من علمه، فله مني كلّ التقدير والاحترام. والله أسأل أن يجازيه خيرًا، ويبقيه لنا ذخرًا وللوطن فخرًا.

وبعد، فهذا جهدي أضعه بين أيدي أعضاء اللجنة الموقّرة الّذين أجزي لهم الشكر الوفير والامتنان العظيم لما تجشموه من عناء قراءة هذا البحث وتقويمه. فإن كنت قد وفّيته حقّه فذلك ما أهدف إليه، وإن يكن غير ذلك فعزائي أنني لم أدخر جهدا في سبيله.

مدخـــــل

بيئـــــــة الشاعـــــــر

أولا: البيئـــــــة السيـــاسيـــــــــة

ثانيا: البيئـــــــة الاجتمـــاعيـــــــــة

ثالثا: البيئـــــــة الأدبيـــــــــــــة

أولا/ بيئــة الشــاعـر:

تُعدُّ القيروان المدينة المقدسة رابعةُ الثَّلاث أول مدينة إسلامية شمال إفريقية، ومركز الدعوة، ومنها انتشر الإسلام في أرجاء البلاد المغاربية، فهي قاعدة الإسلام والمسلمين ومفخرة المغرب وقبلتها، أول قبلة رُسمَتْ في البلاد المغربية؛ فقد كانت أرضها وتربتها الطاهرة منازل خيِرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

والقيروان مدينة عظيمة مشهورة، وتعني « بالفارسية كارَوان، وقد تكلمت به العرب قديماً، قال امرؤ القيس »:[1]

وغـــــــــارة ذات قَيْـــــــــرَوان كـــــــأَنَ أســـــــرابها الرَّعـــــــال

وقد اختلف في اسم هذه المدينة فقد « قيل هي مَوْضع اجتماع النّاس والجيش؛ وقيل محطُّ أثقال الجيش؛ وقيل هي الجيش نفسه؛ والمعنى متقارب »[2].

وتعد القيروان من أهم المعالم الحضارية والإسلامية في المغرب العربي فـ « في سنة خمسين من الهجرة وفد الصحابي عقبة بن نافع الفهري واليا على إفريقية وغازيا لقبائلها؛ فأول ما بادر اليه تدعيم السلطة الإسلامية وتقرير قدم المجاهدين في مركز متين الأساس فاختط القيروان »[3]، وقد ظهرت عبقرية هذه الشخصية الفذة القوية في آرائه السديدة حين أسس قاعدة ثابتة للإسلام والمسلمين، وبعد مشاورة أهل الرأي وقع اختياره على المكان لهذه

(1) ياقوت الحموي الرومي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله البغدادي: معجم البلدان، (د.ط)، مج4، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ص 420.

(2) الدبَّاغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي: معالم الإيمان في معرف أهل القيروان، تصحيح وتعليق: ابراهيم شبوح، (ط2)، ج1، مكتبة الخانجي، مصر،1388هـ/1968م، ص 8.

(3) حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تح: محمد العروسي المطوي، (ط1)، المطبعة التونسية، 1330هـ/1912م، ص 11.

القاعدة وأسماها القيروان وقد بناها بعيدا عن البحر مخافة من الغزو الخارجي لها، ويقول "عقبة بن نافع*" في ذلك « إني أَخاف أَن يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها غزاة البحر، [لأن صاحب المركب لا يظهر من اللجة حتى يستره الليل، فهو يسير إلى ساحل البحر إلى نصف الليل، فيخرج، فيقيم في غارته إلى نصف النهار، فلا تدركها منها غارة أبداً]، فإن كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التقصير، فأهلها مرابطون، ومن كان على البحر فهم حرس لهم، وهم عسكر معقود إلى آخر الدهر، ومَيِّتُهُم في الجنة »[1] ولمَّا تّم الاتفاق على الرأي، أمر أصحابه بالبناء وقال لهم: « قربوها من السبخة »[2] فقالوا: « هذه غياض كثيرة السباع والهوام فنخاف على أنفسنا هنا وكان "عقبة" مستجاب الدعوة فجمع من كان في عسكره من الصحابة وكانوا ثمانية عشرة ونادى: أيتها الحشرات والسباع نحن أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فارحلوا عنّا فإنّا نازلون فمن وجدناه بعدُ قتلناه »[3]، وبدعاء "عقبة" خرجت تلك السباع والهوام تتبع بعضها بعضاً ومن ذلك الحين لم يرو « منها شيئاً في ذلك الموضع أَرْبَعين سنةً، ولو التُمِسَت حيَّةُ أو عقرب بألف دينار فما توجد.» [4]، وأول ما قام به عقبة اختط « دار

* عُقْبة بن نافِع بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامِر بن أُمَيَّة بن طرف بن الحارث بن فِهر. ومن فِهْر بن مالك تفرّقت القبائل. وقال ابن أبي الفَيَّاض: إنَّ عُقْبة وُلِد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنةٍ واحدة.(ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد: البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، (ط1)، مج1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ/2013م، ص 43.).

(1) المالكي أبو بكر، عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكّوش ومحمد العروسي المطوي، (ط1)، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص 10.

(2) المالكي أبو بكر: رياض النفوس، ص 11.

(3) ياقوت الحموي الرومي: معجم البلدان، مج4، ص 421.

(4) الدبَّاغ: معالم الإيمان في معرف أهل القيروان، ص 10.

الإمارة، ثمّ أتى إلى موضع المسجد الأعظم، فاختطَّه »[1]، ثم بعد ذلك شرع "عقبة" وأصحابه في البناء وانشغل « بتأسيس القيروان أربع سنوات، أو تزيد قليلاً »[2].

وقد اشتهرت القيروان على أنها « أعظَم مُدُن المغرب طُرًّا، وأكْثَرَها بشَراً، وأيْسَرَها أموالاً، وأوْسعها أحوالاً»[3]، وكانت بلاد للإسلام والمسلمين وعاصمةً للثقافة الإسلامية و « لم يلمع في تاريخ المغرب العربي اسم مدينة من مدنه ولا ازدهر عصر من عصوره بعد الفتح الإسلامي كما لمع اسم مدينة القيروان وازدهر عصرها الذهبي مدة أربعة قرون كاملة »[4]، وكان ذلك منذ تأسيسها سنة خمسين للهجرة؛ حيث بلغت ذروتها في « التقدم والازدهار على أيدي الأمراء الصنهاجيين »[5] ومن أبرز هؤلاء الأمراء الأمير « المعز بن باديس الصنهاجي* كأبهى وأكبر رمز لما بلغته القيروان من حضارة »[6] الذي كان بلاطه يعج بكبار العلماء والأدباء فقد كان يقرب إليه كل عالم جليل وشاعر فصيح و « يدنيه من حضرته ويضمه لخاصته حتى سار بذكره الركبان، وانتجعه الأدباء على بعد الدار، وصار بَلاطه كما وصفه ابن خلِّكان « محط بني الآمال » كيف لا وقد احتوى هذا البلاط على أكثر من مائة شاعر بليغ ونخص بالذكر »[7] "ابن رشيق القيرواني" الذي عاش أزهى أيام حياته

(1) ابن عذاري: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ص 45.

(2) محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، (ط3)، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م، ص 27.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ص 217.

(4) كرُّو، أبو القاسم محمد: عصر القيروان، (ط2)، دار طلاس، دمشق، 1989م، ص 5.

(5) المرجع نفسه: ص ن.

(6) المرجع نفسه: ص ن.

* المعز بن باديس الصنهاجي: ولد سنة ٣٩٨هـ بالمنصوريةَ (صَبْرَةَ) وملك بعد وفاة أبيه بالمحمدية (المَسيلة) . فقام بأعباء الملك أحسن قيام . وأفرغه في قالب النظام، مات سنة ٤٥٣هـ، (عبد العزيز الميمني الراجكوتى السلفي: ابن رشيق -المعز بن باديس-عمران القيروان-حياة ابن رشيق، (د.ط)، المطبعة السلفية، القاهرة، 1343م، ص 5،21.

(7) حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ص 79.

في بيئتين تزدهران بالعلم والأدب والحضارة، الأولى وهي بيئة البلاط تحت إشراف أميرها "المعز" والثانية هي بيئة القيروان وما يحيط بها من أحداث سياسية واجتماعية وأدبية .

1/ البيئــة السيــاسيــة:

لقد عرف المشهد السياسي في الفترة الممتدة ما بين أَواخِر القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري بعض الاضطرابات التي أدت إلى الانقسام وظهور العديد من الدويلات الإسلامية، وكان ذلك بسبب الحروب والفتوحات التي عرفها المغرب العربي آنذاك، و في هذه الفترة عاش الشاعر "ابن رشيق القيرواني"؛ حيث « كانت نشأته في المغرب بشمال إفريقية. أمضى سنوات حياته متنقلاً من المحمدية وهي مسقط رأسه، إلى القيروان، وفيها أمضى سنواته الذهبية، فالمهدية، ولم يطل مقامه فيها، فجزيرة صقلية على البحر الأبيض المتوسط، حيث قضى أَواخر أَيامه »[1].

وبعد الفتح الإسلامي أصبح المغرب العربي تابعاً في إدارته « لولاة مصر. ثم انفصل عنهم في منتصف حكم الدولة الأموية »[2]، وبعد مجيء الدولة العباسية أصبحت الولاية على المغرب لـ « إبراهيم الأغلب* سنة ١٨٤هـ. وقد أورث إبراهيم هذا ملك هذه الولاية لأبنائه من بعده »[3]، وبقي أبناؤه يتعاقبون على الولاية إلى أن « ظهر الفاطميون،

---

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، شرح: صَلاَح الدّين الهَواري وهُدى عَودة، (ط1)، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/ 1996م، ص 20.

(2) المصدر نفسه: ص 21.

(3) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، (د.ط)، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ت)، ص 9.

* إبراهيم الأغلب: (١٤٠_١٩٦هـ./ ٧٥٧_٧١٢م.) : مؤسس دولة الأغالبة. حكم من عام ٨٠٠ الى عام ٨١٢ م. كان شاعراً فقيهاً وقد عُرف أيضاً بالشجاعة وحسن السياسة وإجادة الخطابة. وقد قال فيه بعض مؤرخيه: ((لم يَلِ إفريقية أحسنُ سيرةً، ولا أحسنُ سياسةً، ولا أرأفُ برعيّة، ولا أوفى بعهد، ولا أرعى لحرمة منه)). (منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، (ط1)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992م، ص 18).

فانتزعوها منهم سنة (٢٩٦هـ/ ٩٠٩م) وأصبح المغرب منذ ذلك التاريخ، جزءًا من الدولة الفاطمية »[1] محسوباً عليهم، وقد بسط الفاطميون سيادتهم على مصر وأسسوا مدينة القاهرة واتخذوها قاعدة لملكهم وبنوا الجامع الأزهر وقد كانوا تحت إمرة "المعز لدين الله الفاطمي"* الذي كان بدوره يفكر « فيمن يولّيه بعده على إفريقية فلم ير له كفؤاً إلاّ بُلُكِيْنَ بن زِيْرِي بن مَيّاد الصِنْهاجيَّ*[1]، وصنهاجة كانوا أعوان الفاطميّين، فاستخلفه ودعاه أبو الفتوح سيفَ الدولة يوسفَ. ثم توالَى منصور*[2] وبادِيْس*[3] إلى أن تُوفّي هذا الأخير سنة ٤٠٦هـ فجْأَةً وهو في معسكره نائم بين أصحابه. فبُويع المعزّ ابنه وهو إذ ذاك ابن ثمانية أعوام وقيل وستة أشهر وقيل بل ابن احدى عشر سنةَ »[2]، ولمَّا آلت الخلافة لـ "المعز" الذي كان منتحلاً للمذهب السني وما كان عليه إلاَّ أن ينبُذ « علانية دعوة الفاطميين، وخلع طاعتهم

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 21.

*المعز لدين الله الفاطمي: هو معد بن إسماعيل المنصور، وكنيته أبو تميم، ولد بالمهدية في ١١ من رمضان سنة ٣١٩هـ وعهد له والده بالخلافة بعده وجلس على سرير الملك من ذي الحجة ٣٤١هـ، وهو الخليفة العبيدي الرابع الذي حكم الشمال الإفريقي (...) توفى بالقاهرة في السابع من ربيع الأول سنة ٣٦٥هـ، ودامت ولايته بإفريقية ومصر ثلاثًا وعشرين سنة (علي محمد الصلابي: الدولة الفاطمية، (ط1)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1427هـ/2006م، ص 68).

(2) عبد العزيز الميمني الراجكوتى السلفي: ابن رشيق _المعز بن باديس_عمران القيروان_حياة ابن رشيق، ص 5.

*[1] بلكين بن زيري: أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيري بن مناد بن منقوش الصنهاجي (٣٦٢-٣٧٣هـ/٩٧٢-٩٨٣م) أصبح بلكين بن زيري واليًا أو أميرًا لكل بلاد إفريقية، وهو أول حاكم لبلاد المغرب من أصل بربري بعد الفتح الإسلامي (علي محمد الصلابي: الدولة الفاطمية، ص 93).

*[2] المنصور: والد باديس والد المعز بن باديس (...) مات المنصور هذا سنة ٣٨٦ وقد وَلِيّ ملك تلك البلاد ثلاثة عشرة سنة وشهوراً (ياقوت الحموي الرومي: معجم البلدان، مج3، ص 391).

*[3] باديس: أبو مَناد بادِيس بن المنصور بن بُلُكِّينَ بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي والد المعز بن باديس (...)، كان باديس المذكور ملكاً كبيراً، حازم الرأي شديد البأس، إذا هزَّ رمحاً كسره، ومولده ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وسبعين وثلثمائة بآشير(ياقوت الحموي الرومي: معجم البلدان، مج1، ص 265).

لما كان يكنه نحوهم من البغضاء »[1]، وقام فـ « خطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله* (ت٤٦٧هـ/١٠٧٥م) وذلك سنة ٤٣٩هـ/١٠٥٨م. ثم قامت بين المعز وأبناء عمومته الحماديين فتن داخلية غذاها وأَشعل نارها الفاطميون في القاهرة »[2] ولمَّا اشتدت نار هذه الفتنة وعجز "المعز" عن التصدي للغارات التي كانت متجهة صوب القيروان « أشار على أصحابه أن يرتحلوا إلى المهدية وكان عليها ولده تميم*[1] من سنة ٤٤٥هـ. أما هو فخرج إليها سنة ٤٤٩هـ »[3]، وبقي هناك في المهدية « إلى أن مات سنة ٤٥٤هـ »[4].

وهكذا احتل الثائرون القيروان من كل جانب وعاثوا فيها « هَدْمًا وإحراقًا وتخريبًا. وشهد "ابن رشيق" تلك النكبة الأليمة، فقال في ذلك مَرْثِيَةً من أروع ما رُثيت به المدن في الشعر العربي »[5]، منها: [6]

أَتَـرَى اللَّيـالي بَعْـدَ مـا صَـنَعَتْ بِنـا تَقْضـي لَنـا بِتَواصُـلٍ وَتَـدانِ

(1) حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ص 70.

(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 21.

* القائم بأمر الله: هو عبد الله بن أحمد (٣٩١_٤٦٧هـ./ ١٠٠١_١٠٧٥م.): الخليفة العباسي السادس والعشرون (٤٢٢_٤٦٧هـ./ ١٠٣١_١٠٧٥م.). عُرف بالورع والعدل والرفق بالرعية. وكانت له عناية بالأدب. (منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، ص 346).

(3) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، (د.ط)، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1964م، ص 12.

*[1] تميم: ولد بالمنصورية في الثالث من رجب سنة ٤٢٢هـ وولاه أبوه على المهدية سنة ٤٤٥هـ، ثم أسندت إليه ولاية إفريقية من والده المعز، وسار في الناس بسيرة حسنة، وقرب أهل العلم وكان شجاع القلب، ذا همة عالية، وسياسة، ودهاء، استطاع أن يرجع المدن التي سلبت من والده، واستمال زعماء العرب بالمال والعطايا، وصاهرهم وامتزج معهم، وجعل منهم جنودًا لدولته بكياسة وفطانة وسياسة نادرة (...) من خيار الملوك حلمًا وكرماً، وإحسانًا، ملك ستًا وأربعين سنة، وعمر تسعًا وتسعين سنة. (علي محمد الصلابي: الدولة الفاطمية، ص 107).

(4) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 13.

(5) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 22.

(6) حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ص 72.

وَتُعيـــــدُ أَرْضَ الْقَيْـــــرَوانِ كَعَهْـــــدِها فيمـــا مَضـــى مِـــنْ ســـالِفِ الْأَزْمـــانِ
مِـنْ بَعْـدِ مـا سَـلَبَتْ نَضـائِرَ حُسْـنِها الْأَيَّـــامُ وَاخْتَلَفَـــتْ بهـــا فئَتـــانِ
وَغَـــدَتْ كـــأَنْ لَـــمْ تَغْـــنَ وَلـــم تَكُـــنْ حَرَمًـــا عَزيـــزَ النَّصْـــرِ غَيْـــرَ مُهـــانِ
أَمْسَـــتْ وَقَـــدْ لَعِـــبَ الزَّمـــانُ بأَهْلِهـــا وَتَقَطَّعَـــتْ بِهِـــمُ عُـــرى الأَقْـــرانِ
أَعْظِـــمْ بِتِلْـــكَ مُصـــيبَةً مـــا تنْجَلـــي حَسْـــراتُها أَوْ يَنْقَضـــي المَلَـــوانِ
حَزِنَـــتْ لهـــا كُـــوَرُ الْعِـــراقِ بأَسْـــرِها وَقُـــرى الشَّـــامَ وَمِصْـــرُ والْخُرســـانِ
وَتَزَعْزَعَـــت لمصـــابها وَتَنَكَّـــدَتْ أَسَـــفًا بـــلادُ الْهِنْـــدِ والسِّـــندانِ

وبعد وفاة "المعز" وما لقيته القيروان من دمار وخراب، لم يعد "ابن رشيق" يطيق الحياة هناك فرحل فاراً بمهجته قاصدا في ذلك صقلية والحسرة تملأ نفسه لما حدث، وهناك التقى بـ "ابن شرف" الشاعر الذي كان بينهما مناقضات ومهاجاة واجتمعا على التسامح ونسيا ما كان بينهما في دار الغربة، لكن "ابن شرف" لم يحتمل البقاء في صقلية و « قرر الرحيل إلى الأندلس وعرض على صاحبه أن يترافقا في الرحيل إليها، فرفض "ابن رشيق" لما كان يسمعه عن انهيار الدولة في الأندلس وانقسامها الى ملوك وطوائف وما أدى إليه من سوء في الحالة السياسية، فقال في ذلك بيتيه المشهورين وهما:[1]

مِمَّـــا يُزَهِّـــدُني فـــي أَرْضِ أَنْـــدَلُسٍ سَـــماعُ مُقْتَـــدِرٍ فيهـــا وَمُعْتَضِـــدِ
أَلْقـــابُ مَمْلَكَـــةٍ فـــي غَيْـــرِ مَوْضِـــعِها كـــالْهِرِّ يَحْكـــي انْتِفاخًـــا صَـــوْلَةَ الْأَسَـــدِ

فرد عليه ابن شرف قائلاً:[2]

إِنْ تَرْمِـــكَ الغُرْبَـــةُ فـــي مَعْشَـــرٍ قَـــدْ جُبِـــلَ الطَّبْـــعُ علـــى بُغْضِـــهِمْ
فَـــدارِهِمْ مـــا دُمْـــتَ فـــي دَارِهِـــمْ وَأَرْضِـــهِمْ مـــا دُمْـــتَ فـــي أَرْضِـــهِمْ

(1) كرُّو، أبو القاسم محمد: عصر القيروان، ص 98.

(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 22.

2/ البيئــة الاجتمــاعيــة:

أما البيئة الاجتماعية ما هي إلاَّ مرآة تنعكس عليها مختلف الأوضاع والأحداث السائدة من حولها، سواء كانت هذه الأوضاع سياسية أو اقتصادية أو ثقافية، و« حياة الناس في هذه الفترة كانت تتلون بلون الحياة السياسية، فإذا هدأت الفتن، استقرت أمورهم وانصرفوا إلى معايشهم، وأقبلوا على الإنشاء والتعمير »[1]، لكن النكبة التي حلت بالقيروان وأدت إلى خرابها والمساس بمعالمها وحضارتها، كانت نتيجة لأغراض سياسية منها الانقسامات التي حدثت بفعل الحروب والفتوحات الإسلامية، وكانت القيروان في هذه الفترة « تضم بطونا مختلفة تتألف من القبائل العربية التي قدمت مع عقبة حين تأسيس القيروان وجيش حسّان* والجنود العرب الذين تركوا الجندية وأقاموا في القيروان وبمرور الزمن أقبل التجار العرب من كل مكان للإقامة فيها وكذلك المثقفون وأدى استقرار الحياة فيها الى أن أقام فيها عدد كبير من القبائل البربرية التي اعتنقت الإسلام »[2].

وهكذا عاش في القيروان خليط من القبائل يجمعهم دين واحد ولغة واحدة وهي اللغة العربية التي استطاعت أن توحد بينهم وتجمع شملهم، وكان "حسّان" هو أول من جعلها « لغة رسمية في بلاد المغرب »[3].

---

(1) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 14.

* حسّان: هو حَسَّان بن النُّعمان بن عَدِي بن بَكْر بن مُغِيث بن عَمْرو بن مُزَيْقيا بن عامِر بن الأزْد. قدم إفريقية في عَسْكر عظيم، فلم يدخل المسلمون قطُّ إفريقية بمثل ما دخلَها حَسَّان بن النُّعمان (ابن عذاري: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ص 60).

(2) محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، (ط1)، دار المنار، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص 169.

(3) كرُّو، أبو القاسم محمد: عصر القيروان، ص 16.

وكانت القيروان من أزهى عواصم العالم العربي بلغت ذروتها ومجدها في عهد الملك "المعز بن باديس"، وكان ذلك في القرن الخامس الهجري وقد انتقلت إليها الثقافة المشرقية بسرعة، وتطورت العلوم والفنون « في المغرب تطورًا كبيرًا. وتركزت معظم الأنشطة الاجتماعية والعلمية والأدبية في مدينة القيروان، حيث كثرت الدواوين والمساجد، وحلقات العلم والأدب، وأَدّى التنافس والتزاحم بين الأدباء والشعراء إلى حركةٍ فكرية وأدبية لم تر إفريقية مثلها في عصر من عصور الدولة الإسلامية. »[1]

وكان لدولة القيروان نظام خاص يميزها، ودواوين ثلاثة يترأسها رجالات الثقافة والأدب وهي: « ديوان الجيش، وديوان الجباية، وديوان الرسائل »[2]، وكان هذا الأخير منتصباً في دولة "المعز" « بمدينة صبرة* على نصف ميل من القيروان بمقربة من منزل الملك، وهو يحتوي على أكثر من مائة كاتب بليغ كابن رشيق وابن شرف، ويرأسهم أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني مربى المعز ابن باديس وكاتب سره »[3]، وفي هذا العصر عاش "ابن رشيق"؛ حيث « أصبحت القيروان كعبة العلم التي يحج إليها العلماء من جميع أصقاع المغرب وحتى الأندلس. وأنجبت الكثير من الرجالات العظام الذين لمع اسمهم في مجال الفكر والأدب والفن والفلك والطب وغير ذلك »[4]، وكان "ابن رشيق" ممن لمع اسمهم في مختلف الفنون الأدبية من شعر ونثر ونقد، وقد ألف العديد من الكتب حيث صنفت من أمهات الكتب منها كتاب "الأنموذج" وكتاب "قراضة الذهب" و كتاب "العمدة"

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 23.

(2) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 14.

(3) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 16.

*صبرة: بلد قريب من مدينة القيروان وتسمى النصوريَّة من بناء مناد بن بُلُكيّن (...) وقال البكري: صبرة متصلة بالقيروان بناها إسماعيل ابن أبي القاسم بن عبيد الله سنة ٣٣٧ واستوطنها (ياقوت الحموي الرومي: معجم البلدان، مج3، ص 391).

(4) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 23.

الذي اشتهر به وقد أهداه « لأبي الحسن علي بن أبي الرجال، رئيس ديوان الإنشاء في قصر المعز. »[1]، وهكذا كانت القيروان دار ملك ومحطة تعُجُ بالكثير من الأدباء والعلماء والفقهاء الذين نالوا الحظوة للعيش في بيوت وبلاطات الملوك والأمراء المحبين للعلم والأدب، كما كانت مركزا لنشر الدين الإسلامي وتعاليمه.

3/ البيئــة الأدبيــة:

القيروان مدينة عظيمة وأول قاعدة للإسلام تم تأسيسها على يد كرام الصحابة وقد كانت بلاد للفتوحات الإسلامية، مما أكسبها مكانة سامية وأصبحت بمثابة مكة في المغرب العربي يقصدها الناس من كل بقاع الأرض، بالإضافة إلى احتلالها مكانة علمية وأدبية وفنية مرموقة؛ حيث لعبت دورا كبيرا في إثراء العالم الإسلامي بالعديد من الأدباء والعلماء وهذا ما قاله عنها المراكشي « وكانت القيروان هذه في قديم الزمان منذ الفتح إلى أن خربها الأعراب دار العلم بالمغرب، إليها ينسب أكابر علمائه، وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم، وقد ألف الناس في أخبار القيروان ومناقبه، وذكر علمائه، ومن كان فيه من الزهاد والصالحين والمتبتلين كتبا مشهورة ككتاب أبى محمد بن عفيف، وكتاب بن زيادة الله الطبنى »[2]، كما انتعشت الحياة في القيروان على مدى فترات طويلة من تاريخها « وظلت طيلة قرون عديدة مركز الاشعاع الثقافي الديني »[3]، حيث شهدت هذه المدينة « عصور ازدهار متتالية، وكانت مركزاً حضارياً هاماً من مراكز الحضارة الإسلامية »[4].

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 24.

(2) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 19.

(3) كرُو، أبو القاسم محمد: عصر القيروان، ص 31.

(4) عبد الحكيم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة اسلامية، (ط1)، مكتبة الاسكندرية، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ص 377.

وتعد فترة الحكم الصنهاجي فترة العصر الذهبي لمختلف العلوم والآداب وسبب ذلك هو اهتمام ولاة الأمر بفئة الأدباء والعلماء، وخاصة الأمير "المعز بن باديس" المحب لأهل العلم والأدب وقد ضم إلى بلاطه « أكثر من مائة شاعر بليغ »[1]، فهو « من الحكام الأدباء ومربياً فاضلاً، فعلى زمان حكمه كُرّم الشعراء والأدباء مما كان سبباً في بروز شخصيات أدبية راقية المستوى من مثل "ابن رشيق القيرواني" مؤلف « العمدة » والذي حظي بقسط وفير منه اهتمام المعز بن باديس قاضياً معه أغلب الأوقات »[2]، وقد واصل ابنه الأمير "تميم" مسيرته بضمه للأدباء إلى بلاطه، ليزداد عدد الأدباء والعلماء ورجال الثقافة وانتشرت العلوم ومختلف الفنون، فازدهرت بذلك القيروان واحتلت مكانة مرموقة وأصبح يطلق عليها « مدينة العلم والأدب وبغداد المغرب »[3]، وبقيت مَحَجًّا للعلماء والأدباء وطلاب العلم، وفي هذه البيئة العلمية والأدبية عاش "ابن رشيق" ما يزيد عن أربعين سنة في كنف حاكمها "المعز بن باديس"؛ حيث حظي بالعناية والاهتمام في وسط بلاطه الذي يعجُ بالعديد من الأدباء وأهل العلم، ويحكى أنَّ "المعز" « كان جالساً في مجلسه وعنده جماعة من الأدباء، وبين يديه أترجة ذات أصابع، فأمرهم المعز أن يعملوا فيه شيئاً، فعمل أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني:

أترجـــة سَـــبْطَة الأطـــراف ناعمـــة تلقـــى العيـــون بحســـنٍ غيـــر منحـــوسٍ

كأنمـــا بســـطت كفـــاً لخالقهـــا تـــدعو بطـــول بقـــاءٍ لابـــنِ بـــاديس

فاستحسن ذلك منه وفضّلهُ على من حضر من الجماعة الأدباء »[4].

(1) حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ص 79.

(2) المعز بن باديس التميمي الصنهاجي: عُمْدَةُ الكُتَّاب وعدَّة ذوى الألباب، تح: نجيب مايل الهروى وعصام مكية، (ط1)، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ايران، 1409هـ/1367م، ص 13.

(3) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 5.

(4) المعز بن باديس التميمي الصنهاجي: عمدة الكتاب وعَّدة ذوى الألباب، ص 14.

وهكذا ظلت القيروان في أوج عظمتها وقمة حضارتها، تزخر بالعديد من العلماء وكبار الأدباء الذين ينقلون ذخائر العلوم لخدمة الثقافة وتاريخ والحضارة.

الفصـل الأول

الشاعـــــــر وشعـــــــره

أولا: التعـــــــريف بالشاعـــــــــــــــر

ثانيا: ابن رشيـــــق الناثـــــــــــــــــر

ثالثا: ابن رشيـــــق الشاعـــــــــــــــر

أولا/ التعـريـف بالشـاعـر:

"ابن رشيق القيرواني" أديب من أدباء المغرب، وأحد الشخصيات البارزة التي أشير إليها بالبراعة والنبوغ في العديد من المصنفات الأدبية والعلمية، فلا يخلو مصنف من هذه المصنفات إلاّ وقد وُجدتْ بين دفتيه هذه الشخصية الأدبية المرموقة، وقد ذاع صيت "ابن رشيق" وتجاوزت شهرته حدود وطنه لتنتشر في الآفاق.

1/ مـولـده:

اختلف العديد من المؤرخين والدراسين ممن عرض وأفاض في الحديث عن "ابن رشيق"، حول زمان ومكان ولادته، ومن هؤلاء نجد:

صاحب الحلل السندسية الذي قال: « ومن بلغاء القيروان ومن أبنائها الحسن بن رشيق أحد البلغاء الأفاضل الشعراء ولد بالمسيلة* وتأدب بها قليلا ثم ارتحل إلى القيروان سنة ست واربعمائة »[1]، وكذا قال: « ابن بسام في كتابه في كتابه "الذخيرة" »[2] وقال غيره: « ولد بالمهدية سنة تسعين وثلثمائة، وأبوه مملوك رومي(...)، وكانت صنعة أبيه في بلده -وهي المحمدية- الصياغة، فعلمه أبوه صنعته، وقرأ الأدب بالمحمّدية، وقال الشعر، وتاقت نفسه إلى التزيد منه وملاقاة أهل الأدب، فرحل إلى القيروان واشتهر بها »[3].

---

(1) أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، (ط1)، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1687م، ص 99.

(2) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، (د.ط)، مج2، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص 85.

(3) المصدر نفسه: ص ن.

* المسيلة: مدينة بالمغرب تسمى المحمّدية اختّطها أبو القاسم محمد بن المهدي في سنة ٣١٥هـ وهو يومئذ وليّ عهد أبيه. (ياقوت الحموي الرومي: معجم البلدان، مج5، ص 130).

وهكذا نجد رأيين مختلفين حول مكان ولادته، وعند البحث أكثر والتنقيب بين طيات الكتب تم العثور على عدة أراء تؤيد ما قاله صاحب الحلل السندسية وكذا "ابن بسام" على أن "ابن رشيق" ولد بالمسيلة وليس بالمهدية*، وهو ما جاء به "عمر فروخ" في كتابه "تاريخ الأدب العربي"؛ حيث ترجم لـ "ابن رشيق" انطلاقا من أبيه فيقول: « كان رشيقٌ مملوكا روميا من موالي الأزد ومن أهل مدينة المَسيلة (المحمّدية*[1]) في المغرب الأوسط (الجزائر)، وكانت صنعتُه الصِياغَة. وفي المحمّدية وُلِدَ ابنُه الحسن سَنَةَ ٣٩٠ (١٠٠٠م) أو قبلَ ذلك بقليل، فتعلم صنعة أبيه وتأدَّب بها قليلاً »[(1)].

في حين نجد أن القفطيّ يقول: « هو الحسن بن رشيق الإفريقي المعروف بالقيرواني، من أهل مدينة من مدن إفريقية، تعرف بالمحمَّدية. وأبوه رشيق مملوك رومي لرجل من أهل المحمدية، من الأزد »[(2)]، ثم يضيف قائلا: « وُلِدَ الحسنُ بن رشيق بالمحمَّدية في شهور سنة سبعين وثلثمائة، ونشأ بها وعلَّمه أبوه صنعته، وهي الصياغة. وقرأ الأدب بالمحمَّدية، وقال الشعر قبل أن يبلغ الحُلُم، واشتَاقت نفسه إلى التَّزيد من ذلك وملاقاة

---

* المهدية: مدينة تونسية مشهورة تقع شرق مدينة تونس العاصمة، أسسها الفاطميون لتكون عاصمة لهم (...) على هيئة كف متصلة بيد وذلك في عهد الخليفة المهدي عام ٣٠٤هـ/٩١٦م، وانتقل إليها للإقامة منذ عام ٣٠٨هـ/٩٢٠م. (عبد الحكيم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة اسلامية، ص 472).

(1) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، (ط2)، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م، ص 551.

1* المحمّدية: مدينة بنواحي الزاب من أرض المغرب. ومدينة المسيلة بالمغرب يقال لها أيضاً المحمدية اختطها محمد بن المهدي الملقب بالقائم في أيام أبيه، وذلك أن أباه أنفذه في جيش حتى بلغ تاهرت فقتل وتملّك ومرّ بموضع المسيلة فأعجبه فخطّ برمحه وهو راكب فرسه صفة مدينة وأمر علي بن حمدون الأندلسي ببنائها وسماها المحمدية باسمه. (ياقوت الحموي الرومي: معجم البلدان، مج4، ص 64).

(2) القفطيّ، الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف: اِنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط1)، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ/1986م، ص 333.

أهل الأدب، فرحل إلى القيروان وعمره ستَّت عشر سنة، وامتدح بها. واشتهر بجوْدَة الخاطر، وصِدْق القريحة، وحسن المحاضرة »[1].

ورغم الاختلافات الظاهرة في الترجمة لـ "ابن رشيق"، فإن « الخلاف في سنة ولادته لا يقل عنه في مكانها »[2]، فقال "عمر فروخ" وغيره أنه ولد سنة «٣٩٠» [3].

وقال : « حسن حسني باشا صاحب بساط العتيق: بل ولد سنة ٣٨٥هـ وحجته أن الرواة قالوا إن ابن رشيق مات عن اثنتين وسبعين سنة وهو في رأيه مات سنة ٤٥٦هـ. فليكن مولده عنده سنة ٣٨٥هـ »[4].

أما عن "القفطيّ" فقد قال: « ولد الحسن بن رشيق بالمحمَّدية في شهور سنة سبعين وثلثمائة »[5]، لكن هذا لا ينفي وجود آراء أخرى تؤكد أو تفند هذه المقولات، منها ما جاء به "شوقي ضيف" في كتابه "تاريخ الأدب العربي" فقال عنه: « هو أبو علي الحسن بن رشيق، ولد بمدينة المحمّدية المعروفة الآن باسم المسيلة لأب رومي من موالي الأزد سنة ٣٩٠ وكان أبوه يحترف الصياغة فعلَّمه صنعته، وأحسَّ الغلام بنزعة فيه إلى الأدب، فهاجر إلى عاصمة القيروان المشهورة به حينئذ سنة ٣٠٦ »[6]، هذا رَأيُ أول أما الرأي الثاني والذي يغنينا عن كل هذه الآراء هو ما جاء به "ابن رشيق" نَفسهُ حين ترجم لِنفسهِ في كتابه الموسوم "بالأنموذج" فقال أنه: « حسن بن رشيق، مملوك من موالي الأزد. ولد بالمحمدية سنة 390 ونشأ بها وتأدّب بها يسيراً، وعلّمه أبوه صنعته، وهي الصياغة. وقال الشعر قبل

(1) القفطيّ: إنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة، ص 333.

(2) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 24.

(3) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ص 551.

(4) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 24.

(5) القفطيّ: إنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة، ص 333.

(6) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات ليبيا_ تونس_صقلية، (د.ط)، ج9، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 227.

أن يبلغ الحلم. وتاقتْ نفسه إلى التزيد من ذلك وملاقاة أهل الأدب. فرحل إلى القيروان سنة 406هـ »[1].

رغم الاختلافات المتضاربة والمتباينة التي وجدت مبثوثة في مطاوي كتب الأدب والتاريخ في الترجمة لـ "ابن رشيق" حول زمان ومكان ولادته، إلاَّ أنّه هو نفسه قطَّع حبل هذا الخلاف القائم حين ترجم لنفسه في كتابه "الأنموذج" فينتهي هذا الخلاف إلى تحديد صائب ودقيق لزمان ومكان ولادته.

2/ نشـأته وحيـاتــه:

للكلام أكثر عن "ابن رشيق" لابد من الولوج إلى عوالم حياته الظاهرة والخفية، من أجل معرفة المزيد عن شخصيته، ونبدأها بالحديث عن والده حيث تُرجَّحُ أغلب الروايات على أنه: « مملوك رومي من مَوَالي الأزْد »[2]، واسمه هو "رشيق" وليس "عليّا" كما يقول أغلبهم والأدلة على ذلك كثيرة منها قول "القفطيّ": « وأبوه «رشيق » مملوك رومي لرجل من أهل المحمدية من الأزد »[3]، وفي موضع آخر جاء مؤكداً على ما قاله "القفطيّ"، وهو ما ذكره "عمر فروخ" في كتابه "تاريخ الأدب العربي"؛ حيث قال: « كان رشيقُ مملوكاً رومياً من موالي الأزد...» [4].

ويأتي هذا واضحًا جليًا من خلال رد "ابن رشيق" على « ابن شرف بعد ذكره نسبَ ابن شَرَف هو اسم امرأة نائحة « وأما أنا نظر الله في وجهة (كذا) هذا الشيخ إليَّ، وأتمَّ به

(1) ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمعه وحققه: محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، (د.ط)، الدّار التونسية للنشر، تونس، 1406هـ/1986م، ص 5.

(2) ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط5)، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م، ص 10.

(3) قلقيلة، عبده عبد العزيز: النقد الأدبي في المغرب العربي، (ط2)، ج1، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م، ص 142.

(4) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ص 551.

النعمة عليَّ. فما أبغي به أبا، ولا أرضى بمذهبه مذهباً. رضيت به روميا، لا دعيا ولا بذْعيا »«[1].

وكثيرة هي الروايات التي تقول بأنه كان يعتز بأصله ويفاخر به الذين عابوا عليه نسبه فـ « ابن رشيق لم يكن يرى في روميته ما ينزل به عن أقرانه وأنداده من العرب، بل كان يصرح برضاه عن نسبه في الأعاجم، ويفخر بوالده »[2]، ونجد هذا من خلال البيت الشعري الذي أنشده عندما « عيَّره ابن شرف بأن أباه روميّ فقال:[3]

أمـــا أبـــي فرشـــيق لســـت أنكـــره قـــل لـــي أبـــوك وصـــوره مـــن خشـــب

وكان أبوه صائغاً بالمحمُّدية وفيها نشأ ابنه الحسن، وقد علمه حرفة الصياغة، كما ربَّاه على حب العلم والجلوس إلى العلماء فتفتحت مواهبه الشعرية والأدبية وهو صغير السن وفي هذا المقام يقول القفطيّ: « وُلِدَ الحسنُ بن رشيق بالمحمَّدية (...)، ونشأ بها، وعَلَّمه أبوه صنعته وهي الصياغة. وقرأ الأدب بالمحمَّدية، وقال الشعر قبل أن يبلغ الحُلُم، واشتاقت نفسه إلى التزيُّد من ذلك وملاقاة أهل الأدب، فرحل إلى القيروان، وعمره ستّ عشرة سنة. »[4].

فالمحمَّدية هي المدينة التي نشأ و« تعلق بها ابن رشيق، ومدحها في صباه إذ قال في واديها:[5]

تحكـــي غواربـــه غـــوارب بـــزل جـــاءت بغيـــر قـــوادم وهـــوادى

(1) عبد العزيز الميمني الراجكوتى السلفي: ابن رشيق _المعز بن باديس_عمران القيروان_حياة ابن رشيق، ص 34.

(2) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 38.

(3) عبده عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 134.

(4) القفطيّ: أنباه الرواة على أنباه النحاة، ص 333.

(5) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 40.

كما أنَّه تعلَّم صنعة أبيه الصياغة، فتركت هذه المهنة أثراً بليغاً و« قد نضجت في أسلوب الولد حين سمَّى كتابه في نقد أشعار العرب قراضة الذهب »[1].

لكن "ابن رشيق" لم يكن يرغب بهذه الصنعة، بل كان حالماً بأن يكون صاحب اليد الطولى في الأدب فقد: « رغب في التزيد من الأدب، وتاقت نفسه إلى ملاقاة أهل العلم والفن، رحل إلى القَيْرَوان، وكانت حاضرة العلم والأدب في عصره. فمدح ملكها المُعِزّ بن باديس (ت ٣٥٤ /١٠٦١م). وأمضى أربعين سنة ما بين قصره وحلقات العلم في المسجد، فَعُرف بالقَيْرَوانِي »[2] نسبة إلى القيروان وقد اشتهر بها، و« كانت القيروان يومئذ تحتل مكانة عظيمة في الازدهار الثقافي بل كانت بالنسبة للمغرب بمثابة بغداد في الشرق »[3].

وقد كان "ابن رشيق" محبوبا عند "المعز" فـ « كان أول اتصاله بالبلاط الصنهاجي (...) سنة 417هـ حيث تقدم إليه بقصيدة مدحه بها وذكر بناء ابتناه بقصره بصبرة مطلعها »[4]:[5]

ذُمَّـــت لِعَيْنَـــكَ أَعْـــيُنُ الْغِـــزْلانِ قَمَـــرُ أَقَـــرَّ لِحُسْـــنِهِ الْقَمَـــرَانِ

وَمَشَـــتْ ولا واللهِ مـــا حِقْـــفُ الْنَّقـــا مِمَّـــا أَرَتْـــكَ ولا قَضِـــيبُ البـــانِ

وَثَـــنُ المَلاحَـــةِ غَيْـــرَ أَنَّ دِيـــانَتي تَـــأْبى عَلَـــيَّ عِبـــادَةَ الْأَوْثـــانِ

وبهذا احتل مكانة مرموقة عنده و « ... بدأت صلته بالبلاط الصنهاجي تتوثق وتتجذّر ويزداد المعزّ تحققا من مكانته الأدبية ومحلّه من قول الشعر فيدنيه ويقربه إليه فيبادر "ابن رشيق" إلى امتداحه بقصيدة تكون له مدخلا إلى البلاط من بابه الواسع، فيلزم

(1) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 20.

(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 12.

(3) كرّو، أبو القاسم محمد: عصر القيروان، ص 97.

(4) ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص 6.

(5) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 155.

الديوان ويأخذ الصلة ويحمل (...) على مركب يميز به »[1]، ومن جميل كلامه في مدح المعز قوله:[2]

لَـــدْنُ الرِّمـــاحِ لمَـــا يَسْـــقي أَسِـــنَّتَها مِـــنْ مُهْجَـــةِ الْقَيْـــلِ أو مـــن ثَغْـــرَةِ البَطَـــل

لَـــوْ أَثْمَـــرَت مـــنْ دَم الأَعـــداءِ سُـــمْرُ قَنًـــا لَأَوْرَقَـــتْ عِنْـــدَهُ سُـــمْرُ الْقَنـــا الـــذُّبُلِ

إِذا تَوَجَّـــــهَ فـــــي أُولـــــى كَتائِبِـــــهِ لَـــم تَفْـــرِقِ الْعَـــيْنُ بـــينَ السَّـــهلِ والْجَبَـــل

وهكذا بقي « الحسن يتقرب بمدائحه السائرة ويشتهر بقصائده الفائقة حتى حاز رئاسة الشعراء، وصار عميدهم »[3]، كما أنه « ... استمر على خدمة أميره بصدق وإخلاص حتى لما انتقل المعز إلى المهدية (٤٤٩) بعد خلاء القيروان تحيز شاعره مع من رافقه، فكان له خير نديم وأصدق مصاحب، يسلّيه أحيانا عند التكدر بإنشاد قصائده المطربة ويشجعه على مقاومة أعدائه آونة أخرى »[4].

وفي إحدى الليالي التي خرج فيها "المعز" إلى المهدية ملتجئًا عند ابنه "تميم" دخل عليه "ابن رشيق" على « حين وضح الفجر فوجده في مصلاه والرقاع عليه ترد والشموع بين يديه تتقد فقام ينشده قصيدته التي أولها:[5]

تثبـــــت لا يخـــــامرك اضـــــطراب فقـــــد خضـــــعت لعزتـــــك الرقـــــاب

فرد عليه المعز قائلاً: « متى عهدتني لا أثبت ؟ إذا لم تجئنا إلا بمثل هذا فمالك لا تسكت عنا ؟، وما تعود ابن رشيق من صاحبه هذه المبادرة؛ وزاد المعز أن أمر بالرقعة التي فيها القصيدة فمزقت، ثم أدنيت من الشمع فأحرقت، فعز ذلك على ابن رشيق الذي عاش ما

(1) ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص 6.

(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 127.

(3) حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ص 90.

(4) المصدر نفسه: ص ن.

(5) قلقيلة: النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 143.

عاش في بلاط الرجل مقرباً، وخرج من يومه على غير طريق إلى أن ولى وجهه شطر صقلية »[1]، وبقي هناك إلى أن مات في أحد مدنها.

كان هذا الجانب الظاهر من حياة "ابن رشيق"، أما الجانب الخفي فهو ما جاء في الحديث عن أسرته، التي أغفلتها كتب التاريخ وغفل عنها كل من ترجم له من الأدباء والمؤرخين، ولم نجد عنها إلا ما ذكره "ابن بسام" في كتابه "الذخيرة" وذلك عندما « كتب إلى المعز بن باديس وقد ولدت له ابنة يمدحه بقوله:[2]

معـــزَّ الهـــدى لا زال عـــزُّكَ دائبـــاً وَزُيِّنـــتِ لنـــا الـــدنيا بحياتكـــا

أتتنـــي أنثـــى يعلـــمُ الله أَنّنـــي ســـررتُ بهـــا إذ أمُّهـــا مـــن هباتكـــا

وقـــد كنُـــت أرجـــو انهـــا ذو بلاغـــةٍ يقـــومُ مقـــامي فـــي بـــديع صـــفاتكا

ومـــا نحـــن إلا نبـــتُ جـــودِك كلنـــا وكـــلُّ نبـــاتِ الأَرضِ مـــن بركاتكـــا

وقد أشير في بعض الموطن أن ابنته ولدت من أمٍّ كانت من هبات الحاكم، والنص السابق « ينبئنا بأن المعز زوج ابن رشيق أحدى جواريه، أو أن ابن رشيق تزوج وكان صداق زواجه من هبات المعز وبعض صلاته. وأن الرجل على الرغم من تصريحه بسروره إذ أتته الوليدة أنثى، فإنه كان يود ويتمنى على الله لو أنها كانت غلاماً تكون له بلاغة أبيه فيقوم مقامه من المعز في شكره والتغني بأياديه ونعمته عليه »[3].

3/ شيـوخـه:

استقى "ابن رشيق" أدبه وثقافته من القرآن الكريم والحديث الشريف، ولم يكتف بهذا القدر من الثقافة فقرأ الأدب وقال الشعر، وتاقت نفسه إلى التزيد أكثر فرحل إلى القيروان من

(1) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 47.

(2) الشنتريني ابن بسام، أبو الحسن علي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، (ط1)، ق4، مج1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م، ص 611.

(3) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 26.

أجل ملاقاة أهل العلم والأدب فالتقى بجلة من العلماء فتتلمذ على أيديهم، وجالسهم وأخذ عنهم فتشبَّع بثقافتهم وعلومهم المختلفة، ومن أبرز هؤلاء الشيوخ الأفاضل:

محمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله التميمي:

« كان اماما عالما باللغة، وأخذ عنه ابن رشيق في أول شبابه حيث مات شيخه في ١٤٢هـ. ومعنى هذا أنهما اجتمعا في القيروان ست سنوات فحسب، ولكن اعجاب ابن رشيق بالشيخ كان كبيراً، وكتب عنه في أنموذجه على أنه أحد شعراء القيروان »[1]، وهو جامع « "كتاب الجامع" في اللغة وهو كتاب كبير حسن متقن »[2]، ومن آثاره نجد: « "كتاب الحلي" و"العثرات في اللغة" و"ضرائر الشعر" »[3].

خلف بن أحمد القيرواني الشاعر:

قال عنه "ابن رشيق" في كتابه "الأنموذج" هو: « شاعر مطبوع، تأدب بإفريقية ودخل مصر، وله شعر معروف جيد، مات بزويلة المهدية سنة أربع عشرة وأربعمائة ومن شعره:[4]

هـــل الـــدهر يومـــاً بليلـــى يجـــودُ وأيامُنَـــــا بـــــاللوى ســـــتعودُ
عهـــودُ تقضَّـــت وعـــيش مَضَـــى بنفســـــي والله تلـــك العهـــــودُ
ألا قـــل لســـكان وادي الحمـــى هَنيئًـــا لكـــم فـــي الجنـــان الخلـــودُ
أفيضـــوا علينـــا مـــن المـــاء فيضـــا فـــنحن عطـــاشُ وأنـــتم ورودُ

(1) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 40.

(2) ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، (ط1)، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م ، ص 2475.

(3) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 17.

(4) ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء، ص 1254.

أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري:

وهو: « أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم، المعروف بالحُصْري، القَيْرَواني الشاعر المشهور، وله ديوان شعر، وكتاب « زَهرْ الآداب وثمر الألباب » جمع فيه كل غريبة في ثلاثة أجزاء، وكتاب « المصون في سر الهوى المكنون » في مجلد واحد فيه مُلَحُ وآداب »[1]، وقد ذكره "ابن رشيق" في كتابه "الأنموذج" قال: « كان أبو إسحاق الحُصْري قد نشأ على الوراقةِ والنسخ لجودة خطّه، وكان منزله لزِيقَ جامع مدينة القيروان. فكان الجامعُ بيتَهُ وخزانتَهُ، وفيه اجتماعُ الناس إليه ومعه؛ ونظر في النحوِ والعروض، ولزمه شُبّانُ القيروان وأخذ في تأليف الأخبار، وصنعة الأشعار (...) ومن شعره مما أنشده "ابن رشيق":[2]

إنـــي احبّـــك حبّـــاً لـــيس يبلغُـــهُ فَهمـــي ولا ينتهـــي وصـــفي إلـــى صِـــفَتِهْ

أقصـــى نهايـــةِ علمـــي فيـــه معرفتـــي بـــالعجز منّـــيَ عـــن إدراكِ معرفتـــه

توفي "أبو إسحاق الحصري" بـ « القيروان سنة ثلاثَ عَشْرَةَ وأربعمائة، وقال ابن بسام في «الذخيرة»: بلغني أنه توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، والأول أصح »[3].

أبو الحسن علي بن أبي الرجال:

هو « أبو الحسن علي بن أبي الرَّجال الشيباني الكاتب المغربي القيرواني »[4]، توفي سنة « (٤٥٤هـ/١٠٦٢م) وكان رئيسا لديوان الإنشاء في قصر المعز بن باديس، وهو الذي سعى لتعيين ابن رشيق كاتبا فيه. وكان يجزل له العطاء، فأَهْدى إليه ابن رشيق

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص 54.

(2) الشنتريني ابن بسام: الذخير في محاسن أهل الجزيرة، ص 593.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص 55.

(4) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية السيد يعقوب ورمضان عبد التواب، (ط3)، ج4، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 225.

كتاب "العمدة" تكريماً له وعرفاناً بجميل صنعه »[1]، ومن آثاره التي خلفها نجد: « كتاب "البارع في النجوم" و"أرجوزة في الأحكام" و"أرجوزة في دليل الرعد" »[2].

أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد محمد:

المعروف بـ: « ابن شرف القيرواني (٣٩٠هـ_٤٦٠م/١٠٠٠هـ_١٠٦٨م) »[3]، وهو لقب الشهرة وللتَّعرف عليه أكثر لابد من ذكر بعض الجوانب من حياته فهو: « محمد بن سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني، أبو عبد الله: كاتب مترسل وشاعر وأديب ولد بالقيروان، اتصل بالمعز بن باديس أمير إفريقية، فألحقه بديوان حاشيته، ثم جعله في ندمائه وخاصته (...)، ثم رحل ابن شرف إلى صقلية، ومنها إلى الأندلس، فمات بإشبيلية »[4]، وكان ذلك سنة « ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م »[5]، ولـ "ابن رشيق" مجموعة من الرسائل يذكر فيها "ابن شرف" ويهجوه « فيها ويذكر أغلاطه وقبائحه، ومع ذلك قال في حقه في "الأنموذج": لقد شهدته مرات يكتب القصيدة من غير مسودة كأنَّه يحفظها ثم يقوم فينشدها »[6]، وقد كان "ابن شرف" « منافسا لابن رشيق في قصر المعز بن باديس، وكانت بينهما مناقضات ومهاجاة. وفي تآليفهما مَشَابِه كثيرة، دفت بعضهم إلى الشك في أخذ أحدهما عن الآخر، وهذا ما حاول ابن رشيق دحضه وتفنيده في كتابه "العمدة". ومن آثار ابن شرف: "أعلام الكلام" (...) و"مقامة في مشاهير الشعراء" و"رسائل الإنتقاد" »[7].

---

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 16.

(2) المصدر نفسه: ص 16.

(3) محمد علي جمّاز: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، (ط1)، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2002م، ص 318.

(4) المرجع نفسه: ص ن.

(5) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 18.

(6) محمد علي جمّاز: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، ص 319.

(7) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 18.

أبو محمد عبد الكريم النهشلي:

لقد عاش "عبد الكريم النهشلي" في: « النصف الأول من القرن الخامس الهجري واستظل بدولة ملوك صنهاجة وبخاصة باديس بن منصور وأبنه المعز بن باديس »[1]، ونشأ « بالمحمدية من أرض الزاب، يكتب لتميم بن باديس ووصفه بكمال الأدب والتعقل »[2].

وذكر "ابن رشيق" أنَّه: « كان شاعراً صاحب مزاج خاص، فقد كان من عادته أن يستلقي على ظهره على سطح داره، يتأمل السماء ساعات طوالا. وأنَّه كان متعففاً لا يقصد بشعره أحداً وأنه لم يهج أحداً قط »[3]، وقال عنه أيضاً في عمدته « قلت أبا محمد، قال نعم، قلت: ما تصنع هنا ؟ قال: القح خاطري، وأجلو ناظري، قلت فهل نتج لك شيء ؟ قال ما تقربه عيني وعينك إن شاء الله، وانشدني شعراً يدخل مسام القلوب رقة »[4]، وهو« أحد أساتذة النقد الذين أخذ عنهم ابن رشيق »[5] وعاصرهم واحتك بهم، توفي عبد الكريم النهشلي النهشلي سنة: « (٤٠٣هـ/١٠١٢م) وهو من المسيلة المحمدية »[6].

أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير:

كان أحد شيوخ "ابن رشيق" وقد ذكره في كتابه "الأنموذج" بقوله: « كان مشهوراً بالنحو واللغة حدا، مفتقرا إليه فيهما، بصيرًا بغيرهما، ولم يُر قط ضرير أطيب منه نفسا ولا

(1) عبد الكريم النهشلي القيرواني: الممتع في صنعة الشعر، تح: محمد زغلول سَلامْ، (د.ط)، دار غريب للطباعة، القاهرة، (د.ت)، ص 3.

(2) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، (د.ط)، ج17، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص 154.

(3) عبد الكريم النهشلي القيرواني: الممتع في صنعة الشعر، ص 4.

(4) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 51.

(5) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 47.

(6) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الجزائر_ المغرب الأقصى_ موريتانيا_ السودان، (ط1)، ج10، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 116.

أكثر منه حياء مع دين وعفة. أدركته وقد جاوز التسعين »[1].

كانت هذه مجموعة العلماء الأفاضل الذين أخذ عنهم "ابن رشيق" العلم والأدب وعلى يدهم تطورت ثقافته ونمت معارفه وجادت قريحته العلمية والأدبية.

4/ تـلاميـذه:

لقد ذاع صيت "ابن رشيق" في كل أقطار الأرض من المغرب إلى المشرق، فهو أديب من كبار الأدباء، باحث وشاعر ومؤرخ وناقد، ويشهد له بهذا ياقوت الحموي فيقول: « ... كان شاعراً أديباً نحوياً لغوياً حذقاً عروضياً كثير التصنيف حسنُ التأليف »[2]، ومما لاشك فيه أنَّ هناك من تأثر به وبأدبه وثقافته وأخذ عنه وتتلمذ على يده، كيف لا وقد « عاش تلك الحياة المليئة بالإنتاج الأدبي والعلمي ثم لا يكون له مريدون، وإذا كانت كتب التراجم لا تعن بتسجيل هذه الناحية في حياة الرجل، فإنا نجد في ثناياها بين الفينة والفنية تلميحاً »[3] إلى ذلك ممن أخذوا عنه، ومنهم:

أبو محمد عبد الله بن يحي بن حمو الخزيمي:

كان: « يروي كثيراً من شعر ابن رشيق، فَيعده الميمني في ترجمته له من تلاميذه »[4].

أبو عبد الله الصفَّار الصقلي:

وهو الذي قال عن نفسه: « كنتُ ساكنًّا بصقيلية وأشعار ابن رشيق تردُ عليَّ، فَكُنْتُ أتمنى لقاءه، حتى استغلبت الرُوم علينا، فخرجتُ فارّاً بمهجتي، تاركاً لكلِّ ما ملكت، وقلتُ:

(1) حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ص 88.

(2) ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء، ص 861.

(3) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 40.

(4) المرجع نفسه: ص 40.

أجتمعُ مع أبي عليّ، فرقَّةُ شمائِلِهِ وطيبُ مشاهده سيذهبُ عنّي بعضَ ما أجِدُ من الحزن على مفارقة الأهل والوطن، فجئت القيروان ولم أقدِّم شيئاً على الوصول إلى منزله، فاستأذنتُ ودخلت، فقام إليَّ وهو ثاني اثنين. فأخذ بيدي، وجعل يسألني، فأخبرته عن أمري »[1].

وهناك آخر هو الذي قال وصرَّح نفسُه: « بأنَّ ابن رشيق شيخه (...) هو عمر عثمان بن علي بن عمر الخزرجي الصقلي »[2].

5/ آثـــــاره:

خلَّف "ابن رشيق" عدداً من الآثار الشعرية والنثرية أربى على الثلاثين مؤلفا في الأدب والنقد واللغة والشعر، وهي تآليف حسان تدل على طول باعه في العلم والأدب؛ وقد تناول "ابن رشيق" موضوعات شتى ومتفرقات متنوعة فهي عماد أدبه، وفيها تتجلى شخصيته الأدبية، ومن أبز تلك الآثار نجد:

العمدة في صناعة الشعر ونقده:

وهو أبزر الكتب وأشهرها غني بالأفكار والآراء، وهو في مجمله كتاب نقدي وقد اشتهر به "ابن رشيق" وحمل اسمه: « وجعله في عداد الخالدين من أعلام العرب »[3]، هو مصنف ضخم جاء « في أربعة مجلدات، اشتمل من هذا النوع على ما لم يشتمل عليه تصنيف من نوعه، وأحسن فيه غاية الإحسان. وذُكرَ هذا الكتاب بحضرة القاضي الأجل الفاضل عبد الرحيم بن علي البيْساني فقال: هو تاج الكتب المصنَّفة في هذا النوع »[4].

(1) الشنتريني ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 599.

(2) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 41.

(3) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 76.

(4) القفطيّ: إنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة، ص 339.

وقد قال فيه ابن خلدون: « كتاب العمدة وهو الكتاب الّذي انفرد بهذه الصنّاعة وإعطاء حقّها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله »[1].

قراضة الذهب في نقد أشعار العرب:

وهو كتاب « لطيف الجِرْم، كثيف العلم، لطيف العبارة، متين الإشارة، صادق القَصْد، هنئُ الوِرْد »[2]، وفيه تناول "ابن رشيق" الشعراء بالنقد والتحليل.

أنموذج الزمان في شعراء القيروان:

حمل الكتاب في طياته تعاريف برجال الشعر مع نماذج مختارة لهم و « يبدو أن له قيمة أدبية خاصة لأن عدداً كبيراً من مؤلفي كتب الأدب القدماء قد اقتبسوا منه واشاروا إليه ولكنه مفقود، ومما يؤسف له أن هذا الكتاب من الكتب النادرة التي احتوت على تاريخ الأدب وأعلامه في المغرب »[3].

وله أيضاً كتاب: « "الشذوذ" في اللغة، ذَكَر فيه كلَّ كلمة جاءتْ شاذة في بابها، عربية في معناها، دلَّ به على كثرة اطلاعه، ومتانة اضطلاعه »[4].

هذه أَلْمعُ الكتب التي اشتهر بها "ابن رشيق"، وهناك طائفة أخرى منها ما نسبها إليه صاحب كشف الظنون نجد:

---

(1) ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، (ط2)، ج1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1988م، ص 791.

(2) القفطيّ: اِنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة، ص 339.

(3) كرّو، أبو القاسم محمد: عصر القيروان، ص 100.

(4) القفطيّ: اِنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة، ص 339.

كتاب « "شرح موطأ مالك" و"تاريخ القيروان" »[1]، وكذلك ما « نسب إليه صاحب بساط العقيق: "الروضة الموشية في شعراء المهدية"، "المساوئ في كشف السرقات الشعرية"، و"ميزان العمل في تاريخ الدول" »[2] وغيرها كثير.

ولـ "ابن رشيق" عدا ما تقدم، رسائل لا تصل إلى درجة المؤلفات السابقة في الأهمية وهي ما نسبها إليه "محمد محي الدين" محقق كتاب "العمدة" وهي مجموعة من الرسائل جاءت للرد على خصومه ومنافسيه منها رسالة: « ساجور الكلب _ نجح الطلب (...) القصيدة الدَّعية – الرسالة المنقوضة – ورسالة رفع الإشكال ودفع المحال »[3].

بالإضافة إلى ما سبق نجد لـ "ابن رشيق" الكثير من الشعر، وهي عبارة عن أطراف ومتفرقات جمعت وطبعت باسم ديوان "ابن رشيق"، وقد قام بـ « جمع نتفاً منه الأستاذ عبد العزيز الميمني، كما جمع الدكتور عبد الرحمان ياغي ما ظفر به من شعره في ديوان طُبع ببيروت »[4].

بهذه الكفاية الممتازة من الآثار جميعها تدل على الثقافة الراقية والخبرة الواسعة، والفكر الحر الطليق الذي كان يتمتع به "ابن رشيق" ودليل ذلك ما قاله: « صاحب الوافي في الجزء الثالث والعشرين منه ما نصه: وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها فوجدتها تدل على تبحره في الأدب واطِّلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن وتبحره في النقد »[5].

(1) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 78.

(2) المرجع نفسه: ص ن.

(3) ابن رشيق القيرواني: الديوان ص 19.

(4) المصدر نفسه: ص ن.

(5) أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ص 100.

6/ وفـاتـــه:

كثيرُ هم الذين أرّخوا لحياة "ابن رشيق" منذ صباه إلى أن وافته المنية، لكنهم اختلفوا في زمانها ومكانها كما حدث تماما مع زمان ومكان ولادته، وهذا الأمر ليس بغريب في اختلاف الآراء حول ذلك، لكن الاختلاف هنا سيكون أكبر لعدم وجود رأي ثابت ونبدأ بما جاء به صاحب الوفيات الذي نجد رأيه مبثوثا في العديد من المصنفات نذكر ما قاله في وفياته أنه: « انتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بمآزر إلى أن مات »[1]، ثم يضيف قائلاً: « رأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة بمآزر »[2]، وفي رواية أخرى يجزم على أنَّه « توفي في مدينة مازر، ويذكر أنه توفي سنة 456 ثم يعقب عليه بذكر سنة 463 ويرجحها »[3] وهذا يدل على عدم ثبوت الزمن الحقيقي لوفاته ثم يرجع في الحين ويؤرخ وفاته باليوم والشهر والسنة؛ إذ يقول توفي « يوم السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين وأربعمائة »[4].

أما "ياقوت الحموي" فقد قال عنه: « مات بالقيروان سنة ست وخمسين وأربعمائة عن ست وستين سنة »[5].

في حين نجد أنَّ القفطيّ قال أنَّه « عدَّ البحر إلى جزيرة صِقِلِّيَّة، ونزل بمازر* إحدى مدنها على أميرها ومُتَوليها ابن مطكود، فأكرمه واختصّه وقرأ عليه كتبَهُ (...) ولم يزل عنده إلى أن مات بمازر في حدود سنة خمسين وأربعمائة »[6].

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص 85.

(2) المصدر نفسه: ص 86.

(3) ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص 9.

(4) المصدر نفسه: ص ن.

(5) ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء، ص 862.

(6) القفطيّ: إنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة، ص 338.

*مازر: قرية بجزيرة صقلية (أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ص100).

من خلال الآراء السابقة نجد أنَّ هناك اختلافًا واضحًا في مكان وفاته وزمانها، فمنهم من يقول مات بالقيروان ومنهم من يقول مات بمازر أما بالنسبة لسنة الوفاة فقد ذُكِرت على ثلاثْ آراء فمنهم من ذكر سنة « خمسين وأربعمائة »[1] وهناك من ذكر سنة « ست وخمسين وأربعمائة »[2] وهذا ما قاله "ابن خلكان" لكنه يُرجح القول بينها وبين سنة « ثلاث وستين وأربعمائة »[3] وإذا قلنا أنَّ رواية "ابن خلكان" هي المرجحَّة فلا بد من أن نثبت هذا التردد من خلال ما جاء في كتاب "الأنموذج":

6_1 الـرأي الأول:

هو « أن ابن رشيق رثى المعز عند وفاته سنة 454هـ، وهذا يفيد أنه كان مقيما بالمهدية في هذا التاريخ »[4].

6_2 الـرأي الثاني:

فهو ما جاء في مدح "ابن رشيق" لـ « الأمير تميم بن المعز بشعر منه البيتان السائران:[5]

أصـحّ وأقـوى مـا سـمعناه فـي النّـدى مـن الخبـر المـأثور منـذ القـديم

أحاديـث ترويهـا السـيول عـن الحيـا عـن البحـر عـن جُـودِ الأميـر تمـيم

لكن هذا الرأي لا بد من أن نستبعده فكيف « يمدح شاعر _ مثل ابن رشيق في حنكته ودرايته _ أميرًا بهذه الأوصاف في حياة أبيه »[6].

---

(1) القفطيّ: إنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة، ص 338.

(2) أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ص 100.

(3) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص 10.

(4) ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص 9.

(5) المصدر نفسه: ص ن.

(6) المصدر نفسه: ص 10.

6_3 الـرأي الثالث:

وأخيراً هو أنَّ « أبا حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي يروي عن ابن رشيق أقواله وآراءه ثم يتبعها مباشرة بعبارة التَّرحم عليه »[1]، في حين أنَّه « لا يذكر شيخه أبا بكر محمد بن الحسن بن البر التميمي الصقلي إلاّ ويلحق اسمه وكنيته بعبارة « أيّده الله » »[2] وهذا رأي صائب إذا « قلنا أنَّ ابن البر هاجر من صقلية إلى الأندلس سنة 460هـ، وأنَّ أبا حفص عمر بن خلف بن مكّي نفسه غادر صقلية في هذا التاريخ أو قبيلهُ بقليل، يتحصل لنا من مجموع ذلك أن كتاب « تثقيف اللسان » ألف قبل سنة 460، وأنَّ صاحبه عرضه على شيخه قبل انتقاله إلى الأندلس وبذلك يكون ابن رشيق أيضا توفي قبل سنة 460هـ حسبما تفيد عبارة التّرحم الملحقة باسمه »[3].

من خلال هذه الأقوال التي عرضناها يمكن أن نؤيد رأي "ابن خلكان" الذي قاله حول تاريخ وفاته والتي ذكرها بالتفصيل وحددّها بـ « اليوم والشهر والسنة تدل على عناية ناقلة بالضبط والتقييد فجعلته لا يهمل شيئا »[4].

أما مكان وفاته فقد قلنا مسبقا برأيين مختلفين فمنهم من قال بمازر ومنهم من قال بالقيروان وهذا الأخير لا صحة له لأنه بعد أن هجم عرب بني هلال على القيروان « خرج المعز إلى المهدية وصحبه ابن رشيق إليها ثم فارقه إلى صقلية حيث وافته المنية ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ٤٥٦هـ بمآزر »[5]، هذا الرأي الأول أما الثاني فيعود إلى البيت الذي أنشده "ابن رشيق" لـ "لمعز" حين قال له:

---

(1) ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص 10.

(2) المصدر نفسه: ص ن.

(3) المصدر نفسه: ص ن.

(4) المصدر نفسه: ص ن.

(5) قلقيلة: النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 142.

تثبـــــت لا يخـــــامرك اضـــــطراب فقـــــد خضـــــعت لعزتـــــك الرقـــــاب

فلم يعجبه "المعزّ" ذلك و أمر بالرقعة التي فيها القصيدة فمزقت، ثم أدنيت مع الشمع فأحرقت، فعز ذلك على ابن رشيق (...)، وخرج من يومه على غير طريق »[1]، وهناك « أقام بـ « بمازر » إحدى مدنها إلى أَن مات سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) »[2].

من خلال هذه الآراء التي سقناها يمكن القول بأن رأي "ياقوت الحموي" في أنَّ "ابن رشيق" توفي بالقيروان ليس بالرأي الصائب، لأن أغلب الروايات تذهب عكس ذلك.

ثانيا/ ابـن رشيـق النـاثـر:

شخصية "ابن رشيق" شخصية بارزة في الساحة الأدبية والفنية، وهو أحد أعمدة الثقافة في القيروان فقد تلقى العلم على يد أكابر العلماء والأدباء في عصره في مجال الأدب والنقد والشعر والبلاغة وغيرها من العلوم أمثال: "أبو إسحاق ابراهيم بن علي الحصري" و"أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني" ... وغيرهما، وفي القيروان « اتصل بالشاعر الكاتب أبي الحسن علي بن أبي الرجال رئيس ديوان الإنشاء، ومدحه فتوثقت صلتهما وضمَّه إلى الكتَّاب في ديوانه»[3]، وقد ألحقه بديوان "المعز بن باديس"، وكانت حياته هناك متصلة بالبلاط الصنهاجي، حيث عاش في كنف "المعز" الذي « كان ملكاً جليلاً عالي الهمة، محباً لأهل العلم كثير العطاء، وكان واسطة عقد بيته... ومدحه الشعراء وانتجعه الأدباء، وكانت حضرته محط بني الآمال »[4]، وقد كان "المعز" يقرب إليه كل عالم جليل وشاعر مجيد يرى في ملامحه سمات النبوغ والإبداع ولمَّا كانت ملامح "ابن رشيق"

(1) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 47.

(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 12.

(3) محمد خليل محمود الخلايلة: المصطلح البلاغي في كتاب العمدة لابن رشيق القيروان ٤٥٦هـ، (رسالة ماجستير)، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي، 1993/3/7م، ص 14.

(4) المعز بن باديس التميمي الصنهاجي: عمدة الكتَّاب وعدَّة ذوي الألباب، ص 13.

تنبئ عن هذا النبوغ وتميزه قربه "المعز إليه وأحاطه برعايته الخاصة وهناك عاش "ابن رشيق" أزهى أيام حياته في بيئة تحيطها الثقافة والعلوم من كل الجوانب، ولتلك البيئة أثر كبير فقد كان « أبو عليّ ربوةً لا يبلغها الماء، وغايةً لا ينالها الشدّ والارخاء، محله من الفهم، محلُّ الصوابِ من الحُكْم، واقتدارُهُ على النثر والنظم، اقتدارُ الوتر على السهم، إن نظم طافَ الأدبَ واستلم، أو نثَر هلَّلَ العلم وكبر »[1]، ونرى ذلك واضحاً مجسداً في تصانيفه المتعددة منها: كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه" وكتاب "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" وكتاب "الأنموذج" وغيرها كثير ومنها من ضاع لمَّا هجم عرب بنو هلال على القيروان وخربوها، وتعتبر الكتب السابقة عملاً متكاملا لـ "ابن رشيق" « فقد حاول في دراسته لشعراء القيروان في كتاب « الأنموذج » أن يطبق بعض القواعد النقدية التي حشدها في كتاب « العمدة »، وعرض في أحد الفصول الأخيرة من « العمدة » لقضية السرقة في الشعر مورداً فيها آراء العلماء وبعض أمثلتهم، حتى إذا تعرّض هو نفسه لتهمة السرقة عمل رسالة « قراضة الذهب » ليدّل على مقدرته في هذه الناحية، بما يضعه في مصاف من تعرضوا لهذا الموضوع من النقاد »[2].

ويعتبر كتاب "العمدة" من أضخم المصنفات الأدبية تميزاً إذْ « يمثّل المذهب العربي الأصيل أي « الكلاسيكي » في نظرته إلى الشعر عند اكتمال حركة علوم اللّغة والأدب والتفقّه فيهما أي في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس. ثمّ هو يمثّل على الخصوص مذهب « مدرسة القيروان » الأدبية مع ما قد تمتاز به هذه المدرسة في نظرتها إلى الأدب وما تتجه إليه عبقريّة المؤلّف الشّخصية من ذلك »[3]، وهو أحسن كتاب الذي « جَمَع

(1) الشنتريني ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 597.

(2) إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب_ نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري _، (ط1)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م، ص 444.

(3) ابن رشيق: قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، تح: الشاذلي يحي، (د.ط)، الشركة التونسية للتوزيع، 1972م، ص 6.

أَحْسَنَ ما قاله كلُّ واحد ممن صنف في معاني الشعر ومحاسنه وآدابه، وعَوَّل مؤلفُه فيه على قريحة نفسه، ونتيجة خاطره؛ خوفَ التكرار، ورجاء الاختصار، إلا ما تعلق بالخبر، ضَبَطَته الرواية؛ فإنه لم يغير شيئا من لفظه ولا مَعْنَاه؛ ليؤتى بالأمر على وجهه » [1].

وقد صنفه "ابن رشيق" وقدمه لـ "أبي الحسن علي بن أبي الرجال" وهي عادة أغلب العلماء « وابن رشيق بصنيعه هذا، إنَّما يجري على سنة العصر الذي كان يعيش فيه، فقد كان العلماء يرفعون كتبهم إلى أمير أو وزير أو عظيم، يرجون من وراء ذلك ذيوع الصيت، وانتشار الكتاب، وجزيل العطاء عليه، والهبة من أجله »[2]، وفي هذا الكتاب نلمس تلك الفنية في الكتابة التي كان يعتمدها "ابن رشيق" فهو عندما يكتب يُخرج من « صدره حشداً من العبارات المسجوعة والاستعارات المصنوعة والتشابيه المزوقة »[3]، مثلا في الخطبة التي جاءت في كتاب العمدة نجد "ابن رشيق" يبدؤها بحمد الله والثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم « يتقدم بين يدي ابن ابي الرجال قائلاً: « أما بعد، فإن أحق من جنى ثمر الالباب، واقتطف زهر الآداب، متنزهاً في عقول الحكماء، متفكهاً في أقاويل العلماء، بالغا بهمته أعلى المراتب، خاطبا لنفسه أسنى المطالب، (...) من عرف للعلم حقه وفضله، وسلك به طرقه وسبله، واكرم الله مثواه ونزله، وخص بالقرب ذويه واهله، (...) كالسيد الامجد، والفذ الاوحد، (...) رجل الخطب، وفارس الكتب ابي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب زعيم الكرم وواحد الفهم الذي نال الرياسة وحاز السياسة وانفرد بالبسط والقبض واتحد في الابرام والنقض »[4]، ولا يكتفي بهذا القدر من الاستعارات والتشابيه بل نجده يعرض في كتاباته بعض الأمثال والأبيات الشعرية وبعضًا من الآيات القرآنية القصيرة ليدلل بها على

(1) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص 3.

(2) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 86.

(3) عبد الرحمان ياغي: حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، (ط1)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2009م، ص 346.

(4) المرجع نفسه: ص ن.

أقواله فنجده يقول: « ولم أسم كتابي هذا باسم السيد _ زاده الله تعالى سمواً _ لا كون كجالب التمر إلى هجر ومهدي الوشي إلى عدن، لكن تزييناً باسمه الشريف وذكره الطيب واستسلاماً بين يدي علمه الطائل وأدبه الكامل:[1]

إن قصـــرت عـــن غـــرض رميـــه او زلّ فكـــــر أو نبـــــا خـــــاطر

لأننـــــي فيـــــه علـــــى نيّـــــة يخبـــــر عـــــن باطنهـــــا الظـــــاهر

وفي هذا الكتاب درس "ابن رشيق" أغلب القضايا النقدية وتطرق لها، وأفرد لكل قضية بابًا خاصًا إذ نجده مثلا في باب المفاضلة بين الشعر والنثر يقول: « وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها... فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تمّ لهم وزنه سمّوه شعراً لأنهم شعروا به أي فطنوا »[2]، يقول في الشاعر أيضاً « ..... وإنما سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما اجحف فيه غيره من المعاني، (...) كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة، ولم يكن له إلا فضل الوزن، وليس بفضل عندي مع التقصير ... »[3].

أما عن كتاب "الأنموذج" فقد ألفه "ابن رشيق" بعد كتاب "العمدة"، وقد حدث اختلاف في تسمية الكتاب « إذ نجده تارة باسم «أنموذج الزمان في شعراء القيروان » ومرة باسم «أنموذج الشعراء » أو باسم « الأنموذج ». وقد ادّعى البعض أن الإطلاق الصحيح « النموذج » حتى أصلح الاسم على تلك الصيغة باعتبار أن ذلك هو الإطلاق الصحيح. ولكن

(1) عبد الرحمان ياغي: حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، ص 347.

(2) إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 447.

(3) عبد الرحمان ياغي: حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، ص 350.

النص الشعري الذي أثبته ابن رشيق نفسه لعبد الرزاق بن علي النحوي يؤكد أن اللفظ الذي اختاره ابن رشيق لكتابه هو «الأنموذج » لا «النموذج »»[1].

وقال "النحوي" مادحاً "ابن رشيق":[2]

يـــا مبـــرزاً إبريـــزَ خيـــر ســـبيكةٍ ومكلّـــلا إكليـــلَ خيـــرِ متـــوَّجِ

ومميِّـــزاً جنسَـــيْ مقدّمـــة النّهـــى إن أشـــكلا مـــن عـــاقِرِ أو منـــتجِ

ومطـــرّزاً حلـــلَ البلاغـــة معجِـــزًا كـــلَّ الـــورى ببلاغـــة ((الأنمـــوذج))

فكأنـــه للســـمع لفـــظُ أحبَّـــةٍ وكأنـــه للعـــين روضُ بنفســـجِ

ويبقى الخلاف في التسمية قائم لكن الراجح على الإطلاق أَّن اسم الكتاب هو "أنموذج الزمان في شعراء القيروان" لأنَّ "ابن رشيق" « كان يطبق خلاصة تجاربه في النقد، فتناول شعراء عصره في كتابه الانموذج بدراية ودربة وذوق ومرانة كافية »[3]، وفي الكتاب ترجم "ابن رشيق" لشعراء عصره مع تضمينه لنماذج مختارة من شعرهم، ولم يقتصر في ترجمته للشعراء فقط بل ترجم للناثرين أيضاً .

يقول "ابن رشيق" في ترجمته لـ "عبد الكريم النهشلي" « ... منشؤه بالمحمدية من أَرض الزاب، كتب لتميم بن باديس ... حدثني من أثق به قال: كنا في مجلس شراب، والكأس في يد عبد الكريم، فصفقنا للرواقص ترقص، فصفق عبد الكريم، فاسقط الكأس في حجره، وعليه ثياب نفيسة فأتلفها، فقلنا له: ما هذا ؟ فقال: ما علمت ان الكأس في يدي ... »[4] ، ويقول أيضاً في « محمد بن ابراهيم الكموني: شاعر فصيح حسن التقسيم، جيد

(1) ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص 20.

(2) المصدر نفسه: ص 156.

(3) عبد الرحمن ياغي: حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، ص 436.

(4) المرجع نفسه: ص 356.

الترسيم، جزل الشعر، ظاهر البلاغة، عالم بأسرار، الكلام اذا ركب معنى اجاده ... »[1]، وكثيرة هي النماذج فـ "ابن رشيق" ترجم للشعراء على حسب شعرهم وأقوالهم والبيئة التي كان يعيشها كل شاعر.

وفي الأخير نجد كتاب "قراضة الذهب" والذي ألفه "ابن رشيق" بعد كتاب العمدة « بيقين، وقد أشار لذلك حين قال في العمدة : « على أن المحدثين شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضا .. كما خالطوهم في صفات النجوم، وكثير مما لا يتسع له الباب ولكني أفرد له كتابا قائما بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون، وما شاركهم فيه المتقدمون وذلك الذي يشير إليه هو موضوع قراضة الذهب الموجود بأيدينا فانه يتحدث فيه عن ابتداعات الشعراء، واخذ المتأخرين منهم عن المتقدمين مع الزيادة والفوق أو العجز والتقصير...» »[2].

وقد ذهب بعضهم على أنَّ "قراضة الذهب" هي رسالة صغيرة، ألفت بعد كتاب "العمدة" وموضوعها هو « الخلق الشّعري » لكن القول السابق يدلل على أنها كتاب كما قال صاحبها وليست رسالة، ونجد في موضع آخر على أنَّ « « قراضة الذهب » ليست كما ذهب إليه الكثير رسالة في السرقة الشعريّة إنّما هي – لمن أمعن فيها النظر بالدرس والتأمّل – تَتَبُّعُ المعاني الشعريّة ووجوه البديع في شعر الشعراء منذ أن « اخترعها » مخترعها فتناولها منه من جاء بعده فزاد عليه وحسّن او قصّر عنه فأخفق »[3].

واعتمد فيها "ابن رشيق" على دراسة أشعار العرب والمقارنة بين الشعراء ويورد لهم أمثلة ويحللها ويحكم عليها بالاستحسان أو الضعف.

كما نجده يعرض فصول هذا الكتاب « فصلاً فصلاً بأسلوبه الذي اتخذه في كتابه العمدة حتى نكاد نظن أنّ القراضة ليست إلا فصلة من الكتاب: فهو لا ينسى كذلك أن ينثر

(1) عبد الرحمن ياغي: حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، ص 357.

(2) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 97.

(3) ابن رشيق: قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، ص 6.

في خطبته في صدر هذه الرسالة بعض أبيات الشعر كما رأينا في خطبة العمدة: فهو يقول فيها : « .. وإنما استحسنته أنت أما لما أرتك عين الرضى والمودة وأما لما أداك إليه تمييزك وأعطتك قريحتك » [1]، ويقول أيضاً في خطبة الرسالة وهذا جزء منها « أمتع الله إخوانك ببقائك، وكفاهم الإساءة فيك، وجعلني من بينهم الفداء لك، واسأل الذي شرح للعلم صدرك، وعمر بالذكر قلبك، وبسط بالحجة لسانك، وبالخير يدك، وقرن بالسّداد قولك، وبالسّداد عملك، أن يجري مناظرك في حسن الأدب على رسمك، ويجعل الانصاف كما تؤثر حكماً بينك وبين خصمك »[2].

من خلال ما جاء في هذه المصنفات وبعض الأمثلة التي عرضناها نلمس براعة وفنية "ابن رشيق" في الكتابة واهتمامه بها والقدرة على التعامل مع الالفاظ والتلاعب بها، وتبقى هذه الكتب من أهم الأعمال الأدبية والشعرية والنقدية التي أنجزها "ابن رشيق" وخلدها التاريخ في بلاد المغرب والمشرق العربي معاً.

ثالثا/ ابـن رشيـق الشـاعـر:

يعد "ابن رشيق" من أشهر شعراء القيروان في عصره، له شعر ضخم من حيث كميته وكثرته، يرجع ذلك لنظمه الشعر منذ صباه، لكن ضاع معظمه ولم يبق منه إلاَّ النزر القليل ممثلًا في مقطوعات شعرية لا تتجاوز البيتين أو أكثر، وجدت مبثوثة في مطاوي الدواوين وثنايا الكتب الأدبية، وقد طبعت منه أطراف ومتفرقات باسم "ديوان ابن رشيق"، ويتضح من خلال ديوانه أنه كتب في العديد من أهم الأغراض الشعرية المختلفة والمتنوعة بحسب المجلس الذي يكون فيه، ولقد كان هو و"ابن شرف" شاعرين: « في قصر المعز بن باديس، وكانت بينهما مناقضات ومهاجاة »[3]، وكان "ابن بسام" يفضل "ابن رشيق" ويقدمه

(1) عبد الرحمان ياغي: حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، ص 355.

(2) المرجع نفسه: ص 354.

(3) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 18.

على « ابن شرف «ويرفعه درجات » وابن رشيق يربأ نفسه عن أن يكون صغر سنه مما يؤخره عن شعراء القيروان في نظر الحصري حين هم هذا بوضع كتاب في طبقات الشعراء، يكون أساسه السن (...) وسيرد عليك مما نختار له ما يؤكد صدق دعوانا في شاعرية الرجل. على أن ابن رشيق لا يُزهى بشعره فوق درجته، وإنما يضع نفسه موضعها، فلا يتطاول على أمثال المتنبي والبحتري...» [1] وغيرهم.

وقد أولى "ابن رشيق" اهتمامه بالشعر وهو لم يبلغ الحُلم، ونجد أقوالًا كثيرة تشهد له هذا الاهتمام حيث قرأ « القرآن والشعر وبعض علوم عصره في مدارس وكتاتيب المحمدية، وتعلَّم الصياغة من أبيه وهو صغير، فجاء بشعر ونقد فيه أَلق الذهب وبريقه »[2]، ولم يزل كذلك حتى صار شاعراً من كبار الشعراء وقد قال فيه: « فضل الله العمري وهو يذكر شعراء المغاربة:_ ومنهم أبو علي ابن رشيق المسيلي، لو رام البحر مجاراته لقصرت به أطماعه.»[3]، ويذكره "ياقوت الحموي" فيقول: « كان شاعراً أديباً نحوياً لغوياً حاذقاً عروضياً كثير التصنيف حسن التأليف.» [4]، وقد عرض "ابن رشيق" لدراسة الشعر وأفرد له أبواباً مستقلة في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه" « معظمها في نقد الشعر وصناعته وتاريخه وما يتصل به من مباحث الوزن والقافية، والصور الفنية التي تتصل بفن القول عموماً وفن الشعر بخاصة »[5]، ومن هذه الأبواب « باب حد الشعر وبنيته »[6] حيث عرفه بقوله: « إنما الشعر ما أطرب، وهز النفوس، وحرَّك الطباع »[7]، وافتتح حديثه بخطبة

(1) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني: ص 57.

(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 12.

(3) قلقيلة: النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 142.

(4) ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء، ص 681.

(5) كامل محمد محمد عويضة: ابن رشيق القيرواني الشاعر البليغ، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 48.

(6) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص 119.

(7) المصدر نفسه: ص 128.

موجزة أبدى فيها اهتمامه بالشعر يقول فيها: « فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب، وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تُقْبل شهادته، وتُمْتثل إرادته؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم،« إن من الشعر لحُكما» »[1]، ويقوم شعره « على قوة العبارة، وتصوغ الديباجة، وسلامة اللفظ وبعده عن الركيك والمبتذل، وتأبيه عن المسف النازل »[2].

أما عن الأغراض التي نظم فيها "ابن رشيق" فهي كثيرة ومتنوعة؛ حيث نرى أنه جعلها في عشرة أنواع منها: « النسيب والمديح والافتخار والرثاء، والاقتضاء والاستنجاز، والعتاب والوعد والانذار، والهجاء والاعتذار ثم الوصف »[3]، وفي موضع أخر نجد « الوصف والمدح، والخمريات: والرثاء، والغزل بنوعيه، والعتاب، والهجاء »[4]، وفي هذا الجانب نرى أنَّ "ابن رشيق" أفرد لكل غرض مجموعة من الأبيات أو مقطوعات أو قصيدة فهو شاعر مُجيد إذا ما حُكَّ الشعر بالعاطفة، وهي التي تظهر في رثائه كأسمى ما تكون العواطف الإنسانية، فقد رثى « مدينته القيروان، حين اقتحمها عرب صعيد مصر، والذين عرفوا باسم الهلالية، عام ٤٤٩هـ= ١٠٥٧م، بعد حصار لها دام أربع سنوات (...) وهي قصيدة طويلة تبلغ خمسة وخمسين بيتاً، تحدث فيها عن العلماء والزهاد والأئمة الذين ازدانت بهم مدينة القيروان أيام عزها »[5]، يقول فيها:[6]

كـــم كـــان فيـــه مـــن كـــرامِ الســـادةِ بـــيضُ الوجـــوه شـــوامخ الإيمـــان

متعـــاونين علـــى الديانـــة والتقـــى لله فـــــي الإســـــرار والإعـــــلانِ

(1) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص 16.

(2) كامل محمد محمد عويضة: ابن رشيق القيرواني الشاعر البليغ، ص 9.

(3) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 193.

(4) عبد الرحمان ياغي: ديوان ابن رشيق القيرواني، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1409هـ/1989م، ص 13.

(5) مكي، الطاهر أحمد: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، (ط3)، دار المعارف، القاهرة، 1987م، ص 220. 220.

(6) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 96.

ومهـــــذبٍ جـــــم الفضـــــائلٍ بـــــاذلٍ لنوالـــــــه ؛ ولعرضـــــــهِ صَـــــوان
وأئمَّـــــة جمعـــــوا العلـــــوم وهـــــذّبوا سُـــــنن الحـــــديث ومُشْـــكل القـــــرآن
علمـــاء إن ســـاءلتهم كشـــفوا العمـــى بفقاهـــــةٍ وفصـــــاحةٍ وبيـــــان
وإذا الأمـــور أُســـتبهمت واســـتغلقت أبوابُهـــــا وتنـــــازع الخصـــــمان
حلـــوا غـــوامض كـــل أمـــر مشـــكل بـــــدليل حـــــق واضـــــح البرهـــــان

أما عن المديح فنجد أنَّ "ابن رشيق" عاش شاعراً في بلاط "المعز بن باديس" مقربا منه يمدحه ويثني عليه الثناء الحسن، والكثير من يظن أنَّ "ابن رشيق" شاعر المديح لكن من يقرأ شعره يستطيع أن يلاحظ في وضوح أن المديح ليس هو اللون الغالب عليه بالرغم من أنه لم يمدح إلاَّ "المعز" بل مدح ابنه "تميم" و"علي بن أبي الرجال" وغيرهم، ومن مديحه "للمعزّ"، يقول:[1]

ذُمَّـــتْ لِعَيْنِـــك أَعْـــيُنُ الْغِـــزْلانِ قَمَـــرٌ أَقَـــرَّ لِحُـــسْنِهِ القَمَـــرانِ
وَمَشَـــتْ ولا واللهِ مـــا حِقْـــفُ الْنَّقـــا مِمَّـــا أَرَتْـــكَ وَلا قَضِـــيبُ البـــانِ
وَثَـــنُ المَلاحَـــةِ غَـــيْرَ أَنَّ دِيـــانَتي تـــأْبى عَـــليَّ عِبـــادَةَ الْأَوْثـــانِ
يـــا ابْـــنَ الْأَعِـــزَّةِ مِـــنْ أَكـــابِرِ حِـــميَرٍ وَسُـــلالَةِ الْأَمْـــلاكِ مِـــنْ قَحْطـــانِ
مِـــنْ كُـــلِّ أَبْلَـــجَ آمِـــرٍ بِلِســـانِهِ يَضَـــعُ السُّـــيوفَ مَواضِـــعَ التِّيجـــانِ
وَحَلَلْـــتَ مِـــنْ عَلْيـــاءِ صَـــبْرَةَ مَوْضِـــعاً أَكْـــرِمْ بِـــهِ مِـــنْ مَوْضِـــعٍ وَمَكـــانِ
زادَتْ بنـــاه علـــى الْخَوَرْنَـــقِ بَسْـــطَةً وَحَـــوَتْ أَعَـــزَّ حِمـــى مِـــنَ النُّعْمـــانِ
وَغَـــدا ابْـــنُ ذي يَـــزَنٍ بِسُـــفلٍ دُونَـــهُ هِمَـــمًا نَـــزَلْنَ بِـــهِ عـــلى غَمْـــدانِ

ونجد في موضع آخر من الهمزية، يقول:[2]

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 156.

(2) المصدر نفسه: ص 27.

عَـــنْ مِثْـــلِ فَضْـــلِكَ تَنْطِـــقُ الشُّـــعَراءُ وَبِمِثْـــــلِ فَخْـــــرِكَ تَفْخَـــــرُ الْأُمَـــــرَاءُ
وَأَرَى الثَّـــرى والمَـــاءَ حَوْلَـــكَ حُمِّـــلا مَـــا لا يَقُـــومُ لَـــهُ الثَّـــرَى والْمـــاءُ
لَـــمْ يَبْـــقَ مِـــنْ طُـــرَفِ الْعِـــراقِ وَغَيْـــرِهِ شَـــيْءٌ يَـــرُوقُ الْعَـــيْنَ مِنْـــهُ رُوَاءُ
حَتَّـــى كَـــأَنَّ الشَّـــرْقَ أَعْمَـــلَ فكْـــرَهُ فـــي أَنْ حَوَتْـــهُ يَمِينُـــكَ الْبَيْضـــاءُ

والمدح عند "ابن رشيق" يغلب عليه الوصف في أغلب الأحيان وهذا ما نجده عندما « يصف زَرَافةً أُهْديت للمعزّ » [1]، فيقول:[2]

وَأَتَتْـــكَ مِـــنْ كَسْـــبِ الْمُلـــوكِ زَرَافَـــةٌ شَـــتَّى الصِّـــفاتِ لِكَوْنِهـــا أَنْبـــاءُ
جَمَعَـــتْ مَحاسِـــنَ مـــا حَكَـــتْ فَتَنَافَسَـــتْ فِـــي خَلْقِهـــا وَتَنَافَـــتِ الْأَعْضـــاءُ
تَحْتَثُّهـــا بَـــيْنَ الْحَـــوَانِي مِشْـــيَةٌ بـــادٍ عَلَيْهـــا الْكِبْـــرُ وَالْغُلَـــوَاءُ
وَتَمُـــدُّ جِيـــدًا فـــي الْهَـــواءِ يَزِينُهـــا فَكَأَنَّـــهُ تَحْـــتَ اللِّـــوَاءِ لِـــوَاءُ

كما أنَّه تناول موضوعات عديدة في هذا الجانب، فقد وصف الطبيعة والحيوان والطيور، والفواكه والزهور والبحر، والشباب والشيب ومجالس الشراب وغيرها ...

يقول في البنفسج:[3]

بَنَفْسَـــجٌ جـــاءَكَ فـــي حِـــينِ لا حَـــرٌّ يُـــرَى فيـــهِ وَلا فَـــرْطُ بَـــرْدْ
كَأَنَّـــهُ لَمَّـــا أُتِينـــا بـــهِ مُـــنْغَمِسُ الْأَثْـــوابِ فـــي الـــلاَّزَوَرْدْ

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 27.
(2) المصدر نفسه: ص 28.
(3) المصدر نفسه: ص 62.

أما الهجاء عند "ابن رشيق" فنجده عبارة عن شذرات قليلة؛ لأنه « كان أبعد الناس عن هجاء، وكثر ما دعا الشعراء إلى عدم التعرض لما يجلب عداوات الناس »[1]، ومن قوله في ذلك:[2]

يـــا مُـــوجِعي شَـــتْماً عَلـــى أَنَّـــهُ لَـــو فُـــرِكَ البُرْغُـــوثُ مـــا أَوْجَعـــا
كُـــلُّ لَـــهُ مِـــنْ نَفْسِـــهِ آفَـــةُ وآفَـــــــةُ النَّحْلَـــــــةِ أَنْ تَلْسَـــــــعا
فَقُمْـتُ بِمـا لَـمْ يَخَـفْ عَنْـكَ مَكانُـهُ مِـنَ الْقَـوْلِ حَتَّـى ضـاقَ مِمَّـا تَوَسَّـعا
وَلَـوْ غَيْـرُكَ الْمَوْسُـومُ عنِّـي بِرِيبَـةٍ لَأَعْطَيْـتُ مِنْهـا مُـدَّعي الْقَـوْلِ مـا ادَّعَـى

وفي موضع آخر يهجو رجلاً اسمه فرات يقول فيه:[3]

قَـالُوا رأَيْنَـا فُراتًـا لَـيْسَ يُوجِعُـهُ مـا يُوجِـعُ النَّـاسَ مِـن هَجْـوٍ بـهِ قُـذِفا
فَقُلْـتُ لَـو أَنَّـهُ حَـيٌّ لَأَوْجَعَـهُ لَكِنَّـهُ مـاتَ مِـنْ جَهْـلٍ وَمـا عَرَفـا
ومـا هَجَـوْتُ فُراتًـا غيْـر تجرِبَـةٍ وذُو الرِّمايَـةِ مَـنْ يَسْتَصْـغِرُ الهَـدَفا

وبقدر هذا الطواف من البحث والتنقيب في ثنايا الكتب، والمصنفات الأدبية، عرضنا أهم المحطات التي مرَّ بها "ابن رشيق" في حياته الشخصية والأدبية، وهكذا تطوى هذه الصفحة لتفتح صفحة جديدة، مع العلم أنَّه مزال حديثنا عن حياة الرجل مستمرًا، وهو أن نلقي الضوء على الجانب الآخر منها، فهو لا يقل أهمية في التعريف به عن الجانب الآخر وهو الجانب الشخصي في حياة وصفات "ابن رشيق" الذاتية والأخلاقية.

(1) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 102.

(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 95.

(3) المصدر نفسه: ص 103.

الفصـــل الثانـــي

تجليات الاعتدال والمجون في شعر ابن رشيق

أولا: مظاهـر الاعتـــدال والاستقامة في شعـــره

ثانيا: مظاهر المجـــون واللهـــو في شعـــره

ثالثا: عبثيـــــــــة ابـــــن رشيـــــق

أولا/ مظاهر الاعتدال والاستقامة في شعره:

لفظة استقامة من الألفاظ التي اختصها الله سبحانه وتعالى بالذكر في كتابه العزيز، وهي من الألفاظ المحورية في الدين الإسلامي الحنيف، وردت على معانٍ عدة في القرآن الكريم، نخص بالذكر منها قوله تعالى في مستهل كتابه العظيم: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6].

وقد أورد الدكتور "وهبة الزحيلي" في كتابه "التفسير الوجيز" تفسيرًا للآية السادسة من سورة الفاتحة قال: « وفقنا إلى الطريق القويم الواضح غير المعوج، وهو الإسلام والإيمان »[1]، وكذلك قوله في الآية الثلاثين من سورة فصلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30] وفي معنى هذه الآية « إن الذين قالوا: ربنا الله وحده لا شريك له، ثم ثبتوا وداوموا على الاستقامة والعمل الصالح والإقرار بالتوحيد، تتنزل عليهم ملائكة الرحمة بالبشرى السارة عند الموت، وفي القبر »[2].

1/ تعريف الاستقامة:

ويمكن تحديد المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة الاستقامة، بالوقوف عليها بين مطاوي القواميس والمعاجم اللغوية والاصطلاحية الأمهات منها والمحدثة، وكذا كتب المفسرين التي نقلت لنا بأمانة استعمال اللفظة عند العرب، ويمكن القول بأن الاستقامة:

(1) وهبة الزحيلي: التفسير الوجيز على هامش القرآن، (د.ط)، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ت)، ص 2.
(2) المصدر نفسه: ص 481.

مصدر استقام مأخوذة من مادة (ق و م) وقد وردت في "القاموس المحيط" بمعنى « اسْتَقَامَ: اعْتَدَلَ. وقَوَّمْتُه: عَدَّلْتُه فهو قَويمُ مُسْتَقِيمُ »[1]، و« الاسْتِقامةُ: الاعْتِدالُ، يقال: اسْتَقَامَ له الأمر »[2]، والاستقامة هي الاعتدال، وقد تَمَّ تعريفه على أنَّه « تَوَسُّطُ حالٍ بين حالَيْنِ في كمٍّ أو كَيْفٍ، وكُلُّ ما تَناسَبَ فقد اعْتَدَلَ، وكُلُّ ما أقَمْتَهُ فقد عَدَلْتَهُ وعدَّلتَهُ »[3]، وقيل « العدل: مصدر بمعنى العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو المَيْل إلى الحق »[4].

والاستقامة عند ابن قيم الجوزية « كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد. والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات. فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله »[5].

ومما ذكره الجرجاني أيضاً أنَّ الاستقامة هي: « أن يجمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي، وقيل: الاستقامة ضِدُّ الاعْوِجاج، وهي مُرور العبد في طريق العُبودية بإرشاد الشرع والعقل. والاستقامة: المداومة، وقيل الاستقامة أن لا تختار على الله شيئًا »[6].

ومجمل ما يمكن استنباطه من التعاريف السابقة هو أنَّ الاستقامة هي كل فعل أو قول يدل على اعتدال المرء والتزامه طريق الحق والهداية، والاعتدال تعكسه تصرفات الإنسان في تعامله مع نفسه ومع غيره، وتتجلى هاته التصرفات في أقواله وأفعاله من خلال

(1) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، (ط8)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص 1152.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص498

(3) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص 1030.

(4) الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، (د.ط)، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت)، ص 124.

(5) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب: مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، (ط7)، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1423هـ/2003م، ص 106.

(6) الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، ص 19.

قلمه الذي يظهر ويُبِينُ جوانب شخصيته المعتدلة مثلما هو الحال عند الشعراء، كحال الشاعر البليغ "ابن رشيق" الذي تضمن ديوانه العديد من الأبيات والمقطوعات التي تحتفي بتشبع الشاعر بالثقافة الإسلامية والمعاني الإنسانية السامية، منها ما جاء في المدح ومنها ما جاء في الرثاء ومنها ما جاء في الوصف وغيرها من الأغراض الشعرية المتنوعة، ولنا في هذا وقفة نضرب من خلالها أمثلة لمعرفة مدى اعتدال الشاعر واستقامته.

2/ شخصيتــه فــي المــدح:

فقد كان "ابن رشيق" يجول جولات حافلة بالثناء والإعجاب بالممدوح؛ حيث مدح وأشاد بذكر « المعز بن باديس سنة ٤٠٦-٤٥٤هـ، وقد أنشد بين يديه معظم أشعاره »[1]، يمجده فيها خالص التمجيد مشيدًا بفضائله ومكارم أخلاقه، فيقول:[2]

عَــنْ مِثْــلِ فَضْــلِكَ تَنْطِــقُ الشُّــعَرَاءُ وَبِمِثْــــلِ فَخْــــرِكَ تَفْخَــــرُ الْأُمَــــرَاءُ

وَأَرَى الثَّــــرى والمَــــاءَ حَوْلَــــكَ حُمِّــــلا مَــــا لا يَقُــــومُ لَــــهُ الثَّــــرَى والْمَــــاءُ

في هذه الأبيات يذكر فضائل "المعزّ" الذي جمع في نفسه مكارم الأخلاق، ويراها جديرة بتغني الشعراء، وبفخره الذي يعدّ فخرًا للأمراء، ويرى أنَّ التُراب والماء من حوله حَمْلًا ما لا يستطيعان حمله من الهدايا الكثيرة التي حضي بها المعز.

ويقول مادحًا بعد التغزل في قصيدة أخرى:[3]

ذُمَّــــتْ لِعَيْنِــــكَ أَعْــــيُنُ الْغِــــزْلانِ قَمَــــرُ أَقَــــرَّ لِحُسْــــنِهِ الْقَمَــــرانِ

وَمَشَــــتْ ولا واللهِ مــــا حِقْــــفُ الْنَّقــــا مِمَّــــا أَرَتْــــكَ وَلا قَضِــــيبُ البــــانِ

(1) عبد الرحمان ياغي: حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، ص 318.

(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 27.

(3) المصدر نفسه: ص 155.

وَثَـــنُ الْمَلاحَـــةِ غَيْـــرَ أَنَّ دِيـــانَتي تَـــأْبى عَلَـــيَّ عِبـــادَةَ الْأَوْثـــانِ
يـــا ابْـــنَ الْأَعِـــزَّةِ مِـــنْ أَكـــابِرِ حِمْيَـــرٍ وَسُـــلالَةِ الْأَمْـــلاكِ مِـــنْ قَحْطـــانِ
مِـــنْ كُـــلِّ أَبْلَـــجَ آمِـــرٍ بِلِســـانِهِ يَضَـــعُ السُّـــيُوفَ مَواضِـــعَ التِّيجـــانِ
وَحَلَلْـــتَ مِـــنْ عَلْيـــاءِ صَـــبْرَةَ مَوْضِـــعًا أَكْـــرِمْ بِـــهِ مِـــنْ مَوْضِـــعٍ وَمَكـــانِ
زادَتْ بنـــاه علـــى الْخَوَرْنَـــقِ بَسْـــطَةً وَحَـــوَتْ أَعَـــزَّ حِمـــى مِـــنَ النُّعْمـــانِ
وَغَـــدا ابْـــنُ ذي يَـــزَنٍ بِسُـــفْلِ دُونَـــهُ هِمَمًـــا نَـــزَلْنَ بِـــهِ علـــى غَمْـــدانِ

يبدأ "ابن رشيق" الأبيات السابقة بالغزل وهي عادة بعض الشعراء، ثم ينتقل ليمدحه بعلوّ قدر نسبه وشرفه العربي؛ لأنَّه « من أكابر الحميريين، ومن سلالة ملوك قحطان »[1]، والعروبة مصدر السلطان والدين واللغة والثقافة والحضارة، وقد كان من قوم واضحي النسب والسيرة، سيوفهم تكون في مواضع التيجان، وهذا يدل على أنهم أهل حرب وشجاعة، ثم يمتدح صبرة وهي أشرف المواضع التي حلَّ بها المعز، ويجعل حماه أكثر عزة من حِمى الملك النعمان بن المنذر، ويقول أنه يفوق أهل زمانه شجاعةً.

وقد تأنق "ابن رشيق" في قصيدته هذه أيُّما تأنق في مدح "المعزّ" وبها دخل في جملته ونسب إلى خدمته فلزم الديوان وأخذ الصلة والحملان:[2]

لَـــدْنُ الرِّمـــاحِ لمَـــا يَسْـــقي أَسِـــنَّتَها مِـــنْ مُهْجَـــةٍ الْقَيْـــلِ أو مـــن ثَغْـــرَةِ البَطَـــلِ
لَـــوْ أَثْمَـــرَت مـــنْ دَم الْأَعـــداءِ سُـــمْرُ قنـــا لَأَوْرَقَـــتْ عِنْـــدَهُ سُـــمْرُ الْقَنـــا الـــذُّبُلِ
إِذَا تَوَجَّـــهَ فـــي أُولـــى كَتائِبِـــهِ لَـــم تَفْـــرِقِ الْعَـــيْنُ بـــينَ السَّـــهلِ والْجَبَـــلِ
فَـــالْجَيْشُ يَـــنْفُضُ حَوْلَيـــهِ أَسِـــنَّتَهُ نَفْـــضَ الْعُقـــابِ جَناحَيْـــهِ مـــنَ البَلَـــلِ

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 156.
(2) المصدر نفسه: ص 127.

يَــأْتي الامُــورَ علــى رِفْــقٍ وفــي دَعَــةٍ عَجْــلانَ كَالْفَلَــكِ الــدَّوَّارِ فــي مَهَــلِ

فيمدح "المعزّ" بذكر شجاعته وبطولته، ثم يصف سلاحه وصفًا رائعًا فـ « لو كانت الرماح السمر تثمر من دماء الأعداء »[1] لأورقت رماح "المعزّ" وأثمرت، ثم ينتقل إلى وصف جيشه الذي يغطي البلاد من كثرة العدد والعتاد، ويشبه "المعزّ" الذي يحقق غاياته برفق وسرعة بالفلك الدوار الذي تراه العين متمهلًا.

وكما مدح "ابن رشيق" "المعزّ بن باديس" مدح ابنه الأمير "تميم" وألبسه لباس الجود والكرم وذلك في قوله:[2]

أَصَــحُّ وَأَقْــوى مــا سَــمِعْنَاُ فــي النَّــدى مِــنَ الْخَبَــرِ المَــأْثُورِ مُنْــذُ قَــديمِ

أَحاديــثُ تَرْويهــا السُّــيُولُ عَــنِ الْحَيــا عَــنْ البَحْــرِ عَــنْ كَــفِّ الأَمِيــرِ تَمــيمِ

فقد بالغ في الإشادة بجود وكرم الأمير "تميم" فقرنه بكرم السيول على الأرض الخصبة، وبكرم البحر وخيراته وذلك بجعل كف الأمير أصلًا للبحر.

لقد أجاد "ابن رشيق" في المدح فذكر أبرز الصفات التي يتحلى بها الممدوح من مكارم الأخلاق ورفعة النسب وشرفه وثقافته وتدينه، كما مدح بالشجاعة والجود والكرم، وكلها صفات حميدة ومزايا جميلة تدل على استقامة شخصيته واعتدالها، وتميزها بالقوة والاتزان، كما تظهر ثقافته الأدبية والعلمية لكونه شاعر بلاط متميز.

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 127.

(2) المصدر نفسه: ص 143.

3/ شخصيتــه فــي الــرثــاء:

الرثاء هو تعبير الشاعر عن خلجات قلبه الحزين، الذي فيه لوعة وحسرة وألم على فقد أحبته، فيعبر بكل صدق عن وفاء المرثي وذكر خصائله وفضائله وحسن أخلاقه، ودعوة الأحياء للاقتداء به حتى يبلغوا درجة عظمته، و"ابن رشيق" ممن أجادوا في هذا الجانب، فإذا مات صاحب اليد الطولى والمنّة الفضلى، كان الرثاء الذي يعبر به عن مشاعره الحزينة التي يملؤها الأسى لهذا الفقد العظيم.

وقد رثى "ابن رشيق" « المعزّ بن باديس الصنهاجي حين توفي؛ ثم رثى قاضي بلدة المحمدية طاهر بن عبد الله حين بلغته وفاته بالقيروان؛ ورثى أبا إسحق إبراهيم بن حسن بن يحيى المعافري التونسي (...)؛ ثم قال قصيدته الطويلة النونية في رثاء القيروان وندبها »[1].

أما في ولي نعمته "المعزّ" فقد ذكر "ابن رشيق" أنَّ الطبيعة نفسها استجابت لهول الحدث بموت الرجل الشجاع العفيف، فيقول:[2]

لِكُــلِّ حَــيٍّ وانْ طــالَ المَــدى هُلُــكُ ... لا عِــــزٌّ مَمْلَكَــــةٍ يَبْقــــى ولا مَلِــــكُ

لِحــادِثٍ مِنْــهُ فــي أَفْواهِنــا خَــرَسُ ... عَــنِ الْحَــديثِ وَفــي أَسْــماعِنا سَــكَكُ

وَلَّــى المُعِــزُّ علــى أَعْقابِــهِ فَرَمَــى ... أو كــادَ يَنْهَــدُّ مِــنْ أَرْكانِــهِ الْفَلَــكُ

مَضــى فقيــدًا وَأَبْقــى فــي خَزائِنِــهِ ... هَــامَ الْمُلــوكِ وَمــا أَدْراكَ مــا مَلَكُــوا

مــا كــانَ إِلَّا حُســامًا سَــلَّهُ قَــدَرُ ... عَلــى الَّــذينَ بَغَــوْا فــي الْأَرْضِ وَانْهَمَكُــوا

وَلَــمْ يَجْــدُ بِقَنــاطِيرٍ مُقَنْطَــرَةٍ ... قَــدْ أَرعبــت باسْــمِهِ ابْرِيزَهــا السِّــكَكُ

(1) عبد الرحمان ياغي: حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، ص 320.

(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 116.

يبدأ مطلع هذه القصيدة بحكمة معروفة وهي أنَّ لكل شيء نهاية، وسيزول حتمًا لا محالة، ويقرّ بأنَّ كل إنسان وإنْ علا نسبه وسما شأنه لن يبقى ملكه ولا مملكته، ثم يذكر شجاعة "المعزّ" وجوده وكرمه.

وقد أجادت شاعرية "ابن رشيق" في المرثية التي قالها في قاضي بلدة المحمدية فتظهر قوة إحساسه لتبدو أكثر رقّة، فيقول:[1]

الْعَفْـرُ فـي فَـمِ ذاكَ الصَّـارِخِ النـاعِي وَلا أُجِيبَـتْ بِخَيْـرٍ دَعْـوةُ الـدَّاعِي

فَقَـدْ نَعـى مِـلْءَ أَفْـواهٍ وأَفْئِـدَةٍ وَقَـدْ نَعـى مِـلْءَ أبْصـارِ وأَسْـماعِ

أَمَّـا لَـئِنْ صَـحَّ مـا جـاءَ البَريـدُ بـهِ لَيَكْثُـرَنَّ مِـنَ البـاكِينَ أشـياعي

يـا شُـؤْمَ طـائِرِ أَخبـارٍ مُبَرِّحَـةٍ يَطيـرُ قَلْبـي لَهـا مِـنْ بَـيْنِ أضـلاعِي

مـا زِلْـتُ أَفْـزَعُ مِـنْ يَـأْسٍ إلـى طَمَـعٍ حَتَّـى تَرَبَّـعَ يَأْسـي فـوْقَ أَطْمـاعي

فـالْيَوْمَ أُنفِـقُ كَنْـزَ الْعُمْـرِ أَجْمَعَـهُ لمَّـا مَضَـى واجِـدُ الـدُّنيا بإجْمـاعِ

تُـوُفِّيَ الطَّـاهِرُ القاضـي فَـوَا أَسَـفا ان لـم يُـوَفِّ تبـاريحي وأَوجـاعي

فللديانـة فيـه لـبس ثاكلـة وللقضـاء عليـه قلـب ملتـاع

فهو يتألم بحرقة لموت صاحبه ويظهر صدق عاطفته، مشيرًا إلى أنَّه يتخبط بين اليأس والرجاء متفجعًا لفقد صاحب العلم والفضيلة والتديّن، متأسفًا على نكبة القضاء لخسران رجل العدل، وقد رثاه "ابن رشيق" اعترافًا له بجميل عمله الصالح، وجاءت هذه الأبيات مليئة بألفاظ الحزن والأسى مثل: "الناعي، الباكين، شؤم، يأس، توفي، تباريحي، أوجاعي، ثاكلة، ملتاع"، كلها ألفاظ تدل على مرارة الفقد، كما تظهر ثقافته الدينية وخاصة في استعماله لبعض الكلمات ذات طابع ديني ومذهبي مثل: لفظة " أشياعي ".

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 98.

أما قوله في أبي إسحق التونسي:[1]

لَـيْسَ الَّـذي صَـحِبَ الزَّمـانَ بِبـاقي والْخَلْـقُ كُلُّهُـمُ الـى الخَـلَّاقِ

يـا لَلرَّزِيَـةِ فـي أَبـي إِسْـحاقِ ذَهَـبَ الزَّمـانُ بـأَنْفَسِ الأَعْـلاقِ

وهنا أيضًا إشارة إلى حكمة بليغة وهي أنَّ كل شيء حي مصيره الزوال، وأنَّ كل البشر يساقون إلى خالقهم، فالبقاء لله سبحانه الواحد، ثم يبكي المصيبة التي فجع بها بموت أبي إسحاق الرجل الفاضل في زمانه.

ومن رثاء الأشخاص إلى رثاء المدن فقد أبدع "ابن رشيق" بهذه النقلة الفريدة برثائه لمدينة القيروان التي اشتهر بها وبكى ما حلّ بها من هوان بعد عزّ « بعد أن خربتها قبائل بني هلال وقتلت النساء والأطفال والشيوخ »[2]، فيقول في ذلك:[3]

كَـمْ كـانَ فِيهـا مِـنْ كِـرامٍ سـادَةٍ بِـيضِ الْوُجـوهِ شَـوامِخِ الْإِيمـانِ

مُتَعـاوِنينَ علـى الدِّيانَـةِ والتُّقـى للهِ فـي الْإِسْـرارِ والْإِعْـلانِ

وَأَئِمَّـةٍ جَمَعُـوا الْعُلُـومَ وَهَـذَّبُوا سـنَنَ الْحَـديثِ وَمُشْـكِلَ الْقُـرْآنِ

عُلَمـاءَ إِنْ سَـاءَلْتَهُمْ كَشَـفُوا الْعَمَـى بِفَقاهـةٍ وَفَصـاحَةٍ وَبَيـانِ

هَجَـروا المضـاجِعَ قـانِتينَ لِـرَبِّهِمْ طَلَبًـا لِخَيْـرِ مُعَـرَّسٍ وَمغـانِ

فيصف حال القيروان عندما كان أهلها ينعمون بالأمن والاستقرار، وما كانوا يَتحلونَ به من الجود والإيمان، متعاونين على نشر تعاليم الشريعة الإسلامية، ويذكر حرصهم على تقوى الله سبحانه وتعالى وعبادته طلبًا لأعلى مراتب الجنان.

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 112.

(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، جمعه وحققه وشرحه: محيي الدين ديب، (ط1)، الدار النموذجية، صيدا، بيروت، 1418هـ/1998م، ص 28.

(3) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 156.

ثم يتخلص "ابن رشيق" من هذه الأبيات إلى رثاء القيروان، فيقول:[1]

كانَـــتْ تُعَـــدُّ القَيْـــرَوانُ بِهِـــمْ إذا عُـــدَّ المَنـــابِرُ زَهْـــرَةَ البُلْـــدانِ
وَزَهَـتْ علـى مِصْـرٍ وَحـقَّ لَهـا كَمـا تَزْهُـو بِهِـمْ وَغَـدَتْ علـى بَغْـدانِ
حَسُـنَتْ فَلمـا أَنْ تَكامَـلَ حُسْـنُها وَسَـما إلَيْهـا كُـلُّ طَـرْفٍ رانِ
وَتَجَمَّعَـتْ فيهـا الفَضـائلُ كُلُّهـا وَغَـدَتْ مَحَـلَّ الْأَمْـنِ والْإيمـانِ
نَظَـرَتْ لهـا الْأَيَّـامُ نَظْـرَةَ كاشِـحٍ تَرْنُـو بِنَظْـرَةِ كاشِـحٍ مِعْيـانِ
حَتَّـى إذا الْأَقْـدارُ حُـمَّ وُقُوعُهـا وَدَنـا القَضـاءُ لِمُـدَّةٍ وَأَوَانِ

فقد كانت أزهى المدن من حيث القيم الحضارية والمبادئ الإسلامية، وفي هذه الأبيات يظهر تأسفه الشديد وحزنه البليغ على ما حلّ بها خاصة وأنها كانت من أعظم البلدان، كما كانت قاعدة للإسلام ومنارةً للإيمان ودارًا للعلم والعلماء.

ومجمل ما تفضي إليه القصائد السابقة هو قدرة "ابن رشيق" على المزج بين رثائه للأشخاص ورثائه للمدن، فأبدع بذكره لمناقب المرثي وعدّدها، ثم أشار إلى المبادئ الإسلامية التي كانت تتمتع بها القيروان وأهلها، كما ذكر ما حلَّ بها من خراب، فنجد أغلب رثائه يدور حول المعاني الدينية، وهذا يدل على وجدانه الحي وعاطفته الرقيقة التي يؤثر فيها المصاب فتحزن وتتحسر على ألم الفقد والخسران، وهو ذو شخصية سوية معتدلة تميل إلى التدين والاهتمام بمبادئه، وكذا الاهتمام برجالات العلم والدين ومجالستهم والاختلاط بهم.

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 160.

4/ شخصيتــه فــي الهجــاء:

كان "ابن رشيق" مسالمًا يتحاشى المخاطر ويتجنب المزالق، وكان « أبعد الناس عن هجاء، وكثر ما دعا الشعراء إلى عدم التعرض لما يجلب عداوات الناس »[1]، ولذلك لم يهجُ أحدًا إلاَّ نادرًا وبطريقة غير لاذعة، ومن ذلك قوله:[2]

وَأَخــــرَقَ أَكَّـــالٍ لِلَحْـــمِ صـــــديقِهِ ولَـــيْسَ لِجـــاري ريقِـــهِ بِمُســـيغِ

سَـكَتُّ لَــهُ ضـنًّا بِعِرضــي فَلَـم أُجِـبْ وَرُبَّ جَـــوابٍ فـــي السُّـــكوتِ بَلِيـــغِ

المغزى الحقيقي من وراء هاذين البيتين هو ذمه لصفة قبيحة وهي الغيبة، فنجده ينعت رجلًا بالأحمق؛ لأنه يذكر أخاه بالسوء في غيابه، ويفضل السكوت عن الكلام؛ لأن في السكوت حكمة، والغيبة صفة مذمومة شرعا، وقد ذكرها الله في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [الحجرات: 12]، وبهذه الحكمة والآية الكريمة يتجلى سلوك "ابن رشيق" المعتدل.

ويقول في ذم بخيل:[3]

إذا كُنْـــتَ تَهْـــوى اكْتِســـابَ الثَّنَـــاءِ وَلا تُنْفِـــقُ المَـــالَ خَـــوْفَ الْعَـــدَمْ

فَأَنْـــــتَ كَعَـــــذْراءَ رُعْبُوبَـــــةٍ تُحِـــبُّ النِّكـــاحَ وَتَخْشَـــى الْأَلَـــمْ

في هاذين البيتين أيضًا نجده يذم صفة البخل، وهي من الصفات الرذيلة والقبيحة التي تقلل من الرجولة.

(1) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، ص 102.

(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 100.

(3) المصدر نفسه: ص 134.

وفي هجائه لـ "ابن شرف" وقد اشتدت المنافسة بينهما كما يقول القفطي: « فتخارجا في الهجاء، وعمل ابن رشيق عدة تصانيف في الرد عليه وإخراج معايب أقواله »[1]، يقول:[2]

وَأَنْـــتَ أَيْضًـــا أَعْـــوَرُ أَصْـــلَعُ فَصـــادَفَ التَّشْـــبيهَ تَحْقيـــقُ

فـ "ابن رشيق" في هذا البيت لا يعيب على "ابن شرف" خلقه، وإنَّما جاء ليؤكد ما به من عور وصلع، وكذلك للرد عليه مدافعًا عن نفسه بدون تجريح أو معيب.

وهكذا يظهر أنَّ شخصية "ابن رشيق" تميل إلى الشعر الذي يتجه إلى غرس قيم الخير والفضيلة، وتنفر من كل شعر يدعو إلى الرذيلة فنجده يذم كل فعل قبيح وينهى عنه بدون تجريح بل يلمح له من بعيد لتجنب معادات النَّاس.

5/ شخصيتـه فـي الـوصـف:

أما الوصف فنجد "ابن رشيق" من الشعراء الذين أجادوا هذا النوع من القريض، وأشعاره في الوصف كثيرة ينثرها في شتى قصائده، فقد أخذت الطبيعة بمجامع قلبه وراح يصف كل شيء فيها فـ « وصف زرافة جاءت للمعز بن باديس هدية من مصر فأبدع في وصفها »[3]، فيقول:[4]

وَأَتَتْـــكَ مِـــنْ كَسْـــبِ المُلـــوكِ زَرافَـــةٌ شَـــتَّى الصِّـــفاتِ لِكَوْنِهـــا أَنْبـــاءُ
جَمَعَـتْ مَحاسِـنَ مـا حَكَـتْ فَتَنافَسَـتْ فِـــي خَلْقِهـــا وَتَنافَـــتِ الْأَعْضـــاءُ
تَحْتَثُّهـــا بَـــيْنَ الْحَـــوَانِي مِشْـــيَةٌ بـــادٍ عَلَيْهـــا الْكِبْـــرُ والْغُلْـــوَاءُ

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، جمعه وحققه وشرحه: محيي الدين ديب، ص 28.
(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 110.
(3) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 251.
(4) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 28.

وَتَمُـــدُّ جِيـــدًا فـــي الْهَـــواءِ يَزِينُهـــا فَكَأَنَّـــــهُ تَحْـــــتَ اللِّـــــوَاءِ لِـــــوَاءُ

وتدل هذه الأبيات على أنَّ الهدية التي جاءت لـ "المعزّ" من مصر هدية جليلة القدر، عالية الشأن، وهذا يدل على كرم أخلاقه وعلو قدره.

ويقول في وصفه للطبيعة في الشتاء:[1]

خَليلَـــيَّ هَـــلْ لِلْمُـــزْنِ مُقْلَـــةُ عاشِـــقٍ أَمِ النَّـــارُ فـــي أَحْشـــائِها وَهْـــيَ لا تَـــدْري
سَـــحابُ حَكَـــتْ ثَكْلـــى أُصِـــيبَت بواحِـــدٍ فَعاجَـــتْ لَـــهُ نَحْـــوَ الرِّيـــاضِ علـــى قَبْـــرِ
تَرَقْـــرَقُ دَمْعًـــا فـــي خُـــدودٍ تَوَشَّـــحَتْ مَطارِفُهـــا بـــالْبَرْقِ طِـــرزًا مِـــنَ التِّبْـــرِ
فَوَشْـــيُ بِـــلا رَقْـــمٍ وَنَسْـــجُ بِـــلا يَـــدٍ وَدَمْـــعُ بِـــلا عَـــيْنٍ وَضِـــحْكُ بِـــلا ثَغْـــرِ

في هذه الأبيات أبدع "ابن رشيق" بخياله الواسع « وتساءل فيها تساؤل الجاهل عن المزن وهل لها مقلة تسح، وهل الرعد في أحشائه نار تتراءى؟ ثم شبه السحاب بالثكلى فقدت وحيدها »[2]، ووميض البرق بلمعان تلك الدموع على الخد.

وحتى الأزهار والفواكه أخذت نصيبها من شعره، فراح يصورها أحسن تصوير، فيقول في البنفسج:[3]

بَنَفْسَـــــجُ جـــــاءَكَ فـــــي حِـــــينِ لا حَـــــرٌّ يُـــــرَى فيـــــهِ وَلا فَـــــرْطُ بَـــــرْدْ
كَأَنَّـــــــهُ لَمَّـــــــا أُتِينـــــــا بـــــــهِ مُـــــنْغَمِسُ الْأَثْـــــوابِ فـــــي الـــــلَّازَوَرْدْ

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 79.
(2) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 249.
(3) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 62.

وفي وصفه للموز يقول:[1]

للهِ مَـــــــــــوْزُ لَذيـــــــــــذُ يُعِيـــــــــــذُهُ الْمُسْـــــــــــتَعيذُ

فَواكِـــــــــــهُ وَشَـــــــــــرابُ بـــــــــــهِ يُفيـــــــــــقُ الْوَقيـــــــــــذُ

هذا هو "ابن رشيق" الذي عشق الطبيعة فشحذت قرائحه وزادت شاعريته قوةً، كيف لا وهو مصور مبدع، وفنّان بارع متميز بقوة الخيال ودقة الوصف، وذلك من خلال استعانته بمظاهر هذه الطبيعة التي تستهوي الأفئدة، وتستثير العواطف والأحاسيس التي تختلج في صدره وتمثل صورة مرسومة في مخيلته تعكس طرق معيشته وفطرته.

6/ شخصيتــه فــي الحكمــة:

في مواقف كثيرة نجد "ابن رشيق" يلبس لباس الرجل الحكيم، وقد اهتم بالشعر الحكمي كغيره من الشعراء ليكشف عن ميوله الدينية، وفي الحكمة قول صادق يتضمن رؤية صحيحة، وقد أفرد جانبًا من شعره للحكمة، ومن ذلك قوله:[2]

أُشـــــاوِرُ أَقْوامًـــــا لِآخُـــــذَ رَأْيَهُـــــمْ فَيَلْـــــوُونَ عَنِّـــــي أَعْيُنًـــــا وَخُـــــدُودَا

وَلَـــيْسَ بِرَأْيـــي حَاجـــةَ غَيْـــرَ أَنَّنـــي أُؤَنِّسُـــــهُ كَـــــيْ لا يَكُـــــونَ وَحيـــــدَا

وَلا أَنـــا مِمَّـــنْ يَبْعَـــثُ السَّـــهْمَ رامِيًـــا إِلـــي غَـــرَضٍ حَتَّـــى يَكُـــونَ سَـــديدَا

فَـــلا يَـــتَّهِمْ عَقْلـــي الرِّجـــالُ فـــإِنَّني أُعَـــــرِّفُهُمْ أَنِّـــــي خُلِقْـــــتُ وَدُودَا

ومغزى القول أنّه طلب مشورة قوم للأخذ برأيهم فأعرضوا عن نصحه، وبالمقابل لم تكن استشارته لحاجة منه للنصح، بل كان سبيلا لضم رأيه لآرائهم حتى لا يكون رأيًا منفردًا،

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 71.

(2) المصدر نفسه: ص 62.

ثم ينتقل لمدح نفسه كونه لا يأتي هدفه بالمكر والحيلة بل يأتيه مستقيمًا موقنًا بنفسه مؤمنًا بقدراته، وهنا لا يمكن لأحد أن يتهمه بنقص العقل وفساده، وأخيرًا يثني على نفسه بأنه ودود ومحبٌّ لقومه، وفي هذا إشارة لاستقامته واعتداله.

ومن فرائده في الحِكم قوله في باب الصداقة:[1]

صَـــديقُ المَـــرْءِ كالـــدِّينارِ طَبْعًـــا وَكَيْـــفَ يُفـــارِقُ المَـــرْءُ الطِّباعـــا

تـــراهُ إِذا أَقـــامَ يُقـــيمُ جاهًـــا وَإِنْ فَارَقْتَـــهُ أَجْـــدى انْتِفاعـــا

يشير هنا إلى أنَّ الصديق الوفي مثل الدينار في طباعه، وطباع الإنسان صفة ثابتة لا تفارقه، ثم يقول إذ ملكت هذا الدينار سيكون لك قيمة وقدرًا كبيرًا بين النَّاس وإن فارقك سيكون لك ذخرًا لدُنياك وآخرتك، كذلك الصديق الوفي سيكون سندًا لك في أوقات الشدة واليسر، وهنا يشير إلى صفة الوفاء والمحبة والودّ، وفي هذا حكمة بالغة الأثر.

ويقول "ابن رشيق" في الصاحب:[2]

اصْـحَبْ ذَوي الْقَـدْرِ وَاسْـتعِدّ بِهِـم وَعَـدِّ عَـنْ كُـلِّ سـاقِطٍ سَـفِلَهْ

فَصـاحِبُ المَـرْءِ شـاهِدٌ ثِقَـةٌ يُقْضـى بـهِ غائِبًـا عَلَيْـهِ ولَـهْ

وَرُقْعَـةُ الثَّـوْبِ حِـينَ تَلْبسُـهُ شُـهْرَتُهُ أَوْ تَكُـونَ مُشْـكِلَهْ

نلاحظ حرصه الشديد على نفسه وعلى غيره مصاحبة كرام النَّاس وأفاضلهم والابتعاد عن كل سفيهٍ ساقطٍ، فصاحب المرء مرآته تحكم عليه بقبحه أو جماله، ثم يقول بأنَّ الصاحب مثل البقعة في الثوب فإن كانت بنفس لون الثوب فلا يرى لها أثر وإن اختلفت عن

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 95.

(2) المصدر نفسه: ص 123.

الثوب كانت مشينة له وعابته، والهدف الذي يريده هو تقديم النصح والإرشاد بمصاحبة الأفاضل الأخيار، لأنها تجلب المنافع وتدفع الأضرار.

ومن شعره في حبه لأخيه قوله:[1]

أُحـــبُّ أَخـــي وَإِنْ أَعْرَضْـــتُ عَنْـــهُ وَقَـــلَّ علـــى مســـامِعِهِ كلامـــي
وَلـــي فـــي وَجْهِـــهِ تَقْطيـــبُ راضٍ كَمـــا قَطَّبْـــتَ فـــي إثْـــرِ المُـــدامِ
وَرُبَّ تَقَطّـــبٍ مِـــنْ غَيْـــرِ بُغْـــضٍ وَبُغْـــضٍ كـــامِنٍ تَحْـــتَ ابْتِســـامِ

في هذه الأبيات يعبّر عن طريقته في وُدّ إخوانه حتى وإن طالت المسافة بينهم، ويقول أنَّ الودّ ليس في طلاقة الوجه أو عبوسه، إنَّما الودّ الحقيقي الذي يظهر رغم إخفائه، فقد ترى من يودك ينظر إليك نظرة بغيض لكنه يكن لك عظيم المحبة، ومن يبتسم في وجهك يحمل في قلبه شديد البغض لك، فربّ أخً أصفى لك الدهر ودّه.

ويقول أيضًا في الأمثال:[2]

خُـــذِ العَفْـــوَ وَائْـــبَ الضَّـــيْمَ وَاجْتَنِـــب الْأَذى وَأَغْـــضِ تَسُـــدْ وَأَرْفُـــقْ تَنَـــلْ وَاسْـــخُ تُحْمَـــدِ

يقدم "ابن رشيق" في هذا البيت نصائح وإرشادات لنفسه ولغيره، منها العفو واجتناب الأذى والظلم وغض البصر والرفق بالضعيف...

إذن فـ "ابن رشيق" الرجل الحكيم يدعو إلى التسامي بالأخلاق، فنجد معظم قصائده السابقة تدور حول معاني دينية، يراها مثالية كالمشاورة والمحبة والوفاء والودّ والنصح والإرشاد، ويقدح في الصفات السيئة كالضيم واجتناب الأذى وغض البصر، وكلها معان تتميز بالوضوح والجرأة والبساطة، تعبر عن شخصيته الفذَّة البسيطة المعتدلة.

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 145.
(2) المصدر نفسه: ص 65.

7/ شخصيتــه فــي أغـراض أخـرى:

وقد كان "ابن رشيق" قنوعًا بما قُسِم له، ولم يكن « صاحب همةٍ في التنقل سعيًا لمنصب أو عطاء، وهذا ما يفسر إقامته الطويلة في القيروان »[1]، ومن شعره في القناعة:[2]

يُعْطَــى الْفَتَــى فَيَنَــالُ فــي دَعَــةٍ مَــا لَــمْ يَنَــلْ بالْكَــدِّ والتَّعَــبِ

فَاطْلُــبْ لِنَفْسِــكَ فَضْــلَ راحَتِهــا إِذْ لَيْسَــتِ الْأَشْــياءُ بالطَّلَــبِ

إِنْ كــانَ لا رِزْقٌ بِــلا سَــبَبٍ فَرَجــاء رَبِّــكَ أَعْظَــمُ السَّــبَبِ

ومجمل ما تفضي إليه هذه الأبيات أنَّ الإنسان قد ينال أشياء لم تكن ثمار جهد ولا كدّ، بل تجيؤه وهو على بساط الراحة، ثم إنَّ "ابن رشيق" من « المتواكلين الذين لا يحبون أن يبذلوا في سبيل الرزق، بل يرى أنه رجاء الله ولو بدون عمل »[3]، لأنّ الله هو الرازق.

وفي العتاب نجده أفرد له العديد من القصائد منها قوله:[4]

يــا رَبِّ لا أَقْــوى علــى دَفْــعِ الْأَذى وَبِــكَ اسْــتَعَنْتُ علــى الضَّــعيفِ الْمُــوذِي

فهو يشكو ضعفه إلى الله وعدم مقدرته على دفع الأذى، ثم يستعين بالله على دفعه لأنَّه لا يقوى على رده حتى من ضعيف، والاستعانة بالله على حسن الأخلاق تدل على استقامة العبد واعتداله.

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 13.

(2) المصدر نفسه: ص 47.

(3) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 64.

(4) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 71.

وقال أيضًا معاتبًا القاضي "جعفر بن عبد الله الكوفي":[1]

وَقَــدْ كُنْــتُ لا آتــي إِلَيْــكَ مُخــاتلًا لَــدَيْكَ ولا أثنــي عليــك تصــنعا

ولكــن رأيــت المــدح فيــك فريضــة علــيّ إذا كــان المــديح تطوعــا

فهو ينفي عن نفسه صفتي الخداع والرياء أثناء مديحه للقاضي، ويقول له أنَّ مديحك عليَّ فرضٌ، وقد استعمل في هاذين البيتين مصطلحات إسلامية "الفريضة، والتطوع" وهذا يدل على تدين "ابن رشيق" واعتداله.

ومن شعره كذلك قوله في المنايا:[2]

المنايــا حَــتْمٌ فَطُــوبَى لِــنَفْسٍ سَــلَّمَتْ بالرِّضَــى لِحُكْــمِ القَضــاءِ

لَــوْ بُــودِّي قَتَلْــتُ نَفْســي لِأُلقــا هُ وَلَكِــنْ خَشِــيتُ فَــوْتَ اللِّقــاءِ

فالمعنى من وراء البيتين هو أنَّ "ابن رشيق" يرى أنَّ الموت أمر حتمي قدَّره الله على جميع مخلوقاته، فطوبى لنفس راضية بحكم الله وقضائه، ثم يظهر رغبته الجامحة للقاء من يرثيه وذلك بقتل نفسه، لكنه يخاف ويخشى عدم لقائه؛ لأنَّه يعلم أن من قتل نفسه سيكون مأواه النار، وفي الرضى والخوف يتجلى لنا اعتداله وسلوكه الطريق المستقيم في حياته.

أما في التعزي والمواساة يقول:[3]

رَأَيْــتُ التَّعَــزِّيَ مِمــا يَهــيجُ علــى المَــرْءِ ســاكِنَ أَوْصــابِهِ

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 94.

(2) المصدر نفسه: ص 36.

(3) المصدر نفسه: ص 48.

وَمـــا نـــالَ ذُو أَسْـــوَةٍ سَـــلْوَةً وَلَكِـــنْ أَتَـــى الْحُـــزْنَ مِـــنْ بابِـــهِ
تَفَكَّـــرْ فـــي مِثْـــلِ أَرْزائِـــهِ فَـــذَكِّرَهُ مَـــا بِـــهِ مـــا بِـــهِ

يرى أنَّ التعزي وإن كان ما يحمله من روح المواساة والتعاطف مع أهل المفقود إلاَّ أنه يُهَيجُ نفوسهم ألم الفراق ولوعته، ويحث على التفكر في مصائب الغير وتذكرهم بما عانوه من شدائد وأزمات، وهذا خطاب نهج فيه "ابن رشيق" نهجًا سويًا معتدلاً.

ويقول في الإعراض عن الجاهل:[1]

أَيهـــا الْمُـــوحِي إِلَيْنـــا نَفْثَـــةَ الصِّـــلِّ الصَّـــمُوتِ
مَـــا سَـــكتْنا عَنْـــكَ عِيًّـــا رُبَّ نُطْـــقٍ فـــي السُّـــكوتِ
لَـــكَ بَيْـــتٌ فـــي الْبُيُـــوتِ مِثْـــلَ بَيْـــتِ الْعَنْكبُـــوتِ

تضمنت هذه الأبيات ردًا قويًا من "ابن رشيق" على الذي ينفث سمومه كالحية الخبيثة الصامتة، فقال: « لم نسكت عنك عجزًا فربّ صمت أبلغ من الكلام »[2]، وجاء هذا الرد في شكل حكمة بالغة وأتبعها يقول: إنَّ مسكنك هش البنيان ضعيف الأركان تمامًا كحال بيت العنكبوت، وقد استلهم كلامه هذا من القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۚ**﴾ [العنكبوت: 41]، فقد أضفت هذه الآية الكريمة على البيت طابعًا جماليًا فنيًا ألبسته لباس التقوى والعفاف والاعتدال.

ويقول في إبليس لعنة الله عليه:[3]

أَرَى الشَّـــيْخَ إِبْلِـــيسَ ذاَ عِلَّـــةٍ فَـــلَا بَـــرِئَ الشَّـــيْخُ مِـــنْ علَّتِـــهْ

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان ص 50.
(2) المصدر نفسه: ص ن.
(3) المصدر نفسه: ص 51.

يَقُـــودُ عَلـــى الْحُـــبِّ مُسْـــتَيْقِظًا ويَأْتيـــكَ فـــي اللَّيْـــلِ فـــي صُـــورَتِهْ
فَيُؤْتِيـــكَ مـــا شـــاءَ مِـــنْ نَفْسِـــهِ وَيَبْلُـــغُ مـــا شـــاءَ مِـــنْ لَذَّتِـــهْ
ومـــن كـــان ذا حيلـــة هكـــذا تمثـــل للمـــرء فـــي يقظتـــه
فـــلا تـــدخر دونـــه لعنـــة لأن رضـــى الله مـــن لعنتـــه

في هذه الأبيات يدعو على إبليس الذي أصيب بالمرض لإخفاقه في إغواء بني أدم وتزيين الكفر لهم، فهو يغريهم بأيَّة وسيلة تجرهم لعصيان ربهم حتى إذا وصل إلى مبتغاه وأوقع بهم انصرف عنهم وتركهم في ندم وحصرة، وقد صرّح إبليس منذ الأزل وأعلن على رؤوس الأشهاد بأنّه سيفعل ذلك ويقنعهم بفعل المعاصي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ثم يدعو "ابن رشيق" نفسه وغيره إلى محاربته وعدم الخضوع له من أجل نيل رضى الله ومغفرته.

وفي حسن المقال يفصل "ابن رشيق" بين الحق والباطل بقوله:[1]

إِذا لَـمْ تَجِـدْ بُـدًّا مِـنَ الْقَـوْلِ فَانْتَصِـفْ بِحَـــدِّ لِســـانٍ كالْحُســـامِ المُهَنَّـــدِ
فَقَـدْ يَـدْفَعُ الْإِنْسـانُ عَـنْ نَفْسِـهِ الْأَذى بِمِقْوَلِـــهِ إِنْ لَـــمْ يُدافِعْـــهُ بالْيَـــدِ

يشير إلى العدل في الكلام لأنَّ لسان المرء مثل السيف القاطع في إعلاء كلمة الحق على الباطل.

ويقول في الإحسان وحسن المعاملة:[2]

مَـــنْ جَفـــاني فَـــإِنَّني غَيْـــرُ جـــافِ صِـــلَةٌ أَو قَطيعَـــةٌ مـــن عَفـــافِ
رُبَّمـــا هـــاجَرَ الفَتَـــى مَـــن يُصـــا فيـــهِ وَلاقَـــى بالْبِشْـــرِ مَـــنْ لا يُصـــافي

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 65.
(2) المصدر نفسه: ص 106.

يشير "ابن رشيق" إلى صفة حميدة أوصانا بها الله ورسوله وهي صلة الرحم، فهو لا يريد أن يقاطع الناس ويهجرهم حتى وإن قاطعوه.

وفي قصيدة نجد "ابن رشيق" يرجو رحمة ربه فيقول:[1]

إِذا أَتَــى اللهُ يَــوْمَ الْحَشْــرِ فــي ظُلَــلٍ ... وَجِــيءَ بــالْأُمَمِ الماضِــينَ والرُّسُــلِ

وَحاسَــبَ الْخَلْــقَ مَــنْ أحْصــى بِقُدْرَتِــهِ ... أَنْفاسَــهُمْ وَتَوَفَّــاهُمْ إِلَــى أَجَــلِ

وَلَــمْ أَجِــدْ فــي كِتــابي غَيْــرَ سَــيِّئَةٍ ... تَسُــوءُني وَعَســى الْإِسْــلام يَسْــلمُ لــي

رَجَــوْتُ رَحْمَــةَ رَبِّــي وَهْــيَ واسِــعَةٌ ... وَرَحْمَــةُ اللهِ أَرْجَــى لــي مِــنَ الْعَمَــلِ

فهو يصور يوم الحشر تصويرًا دقيقًا ويذكر كيف يجيءُ الله بالأمم والرسل، ويأتي سبحانه وتعالى في ظُلل من الغمام، مستلهماً كلامه هذا من الآية الكريمة: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ**﴾ [البقرة: 210] ، ويقول لو أنَّ كتاب أعماله كلها سيئات سيكون مصيره العذاب، ثم يتضرع إلى الله بالدعاء والرجاء من أجل الرحمة والمغفرة، وهو يعلم أنَّ رحمته أرجى من كل الأعمال، وهنا يظهر إيمان "ابن رشيق".

كل الأغراض السابقة تدل على أنَّ "ابن رشيق" اتخذ الجانب الأخلاقي بؤرة اهتمام رئيسية، وقد تبنى العديد من المعايير الأخلاقية التي تدعو إلى الفضيلة ونبذ الرذيلة، كالعدل والحق والرضى والخوف والحكمة وغيرها...، فكل معيار خلقي يدل على أدبه وأخلاقه وحسن سيرته، كما يدل على صلته بربه وبغيره، وهذا ما تميزت به شخصيته الفذّة المعتدلة، وسلوكه السوي المستقيم.

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 128.

8/ شخصيتــه فــي الغـزل العفيـف بالمـرأة:

لا ضير أن ينتشر غرض الغزل ويتربع على عرش باقي الفنون الشعرية الأخرى والغزل فن شعري غنائي وجداني موضوعه المرأة يصفها الشاعر أو يتحدث إليها، أو يتخيّل قصة تتعلَّقُ بها، وكانت المرأة ملهمته وسلواه في أيام سعادته وشقائه، والغزل عند "ابن رشيق" هو « إلف النساء، والتخلق بما يوافقهن »[1]، وقد أبدع في هذا الغرض فقال:[2]

دَعـــا بِـــكِ الْحُسْـــنُ فَاسْـــتَجيبي ... يـــا مِسْـــكُ فـــي صَـــبْغَةٍ وَطِيـــبِ
تِيهـــي عَلـــى البِـــيضِ وَاسْـــتَطِيلي ... تيـــهَ شَـــبابٍ عَلـــى مَشـــيبِ
وَلا يَرُعْـــكِ اسْـــوِدادُ لَـــوْنٍ ... كَمُقْلَـــةِ الشَّـــادِنِ الرَّبيـــبِ
فَإِنَّمـــا النُّـــورُ عَـــنْ سَـــوادٍ ... فـــي أَعْـــيُنِ النَّـــاسِ وَالقُلُـــوبِ

يظهر بديع تصويره في هذه الأبيات حين شبه سواد الفتاة بالمسك في لونه وطيب عطره، وراح يدعوها إلى الافتخار بحسنها على البيض من الفتيات، ويصفها بصفات جميلة مستحبة.

وعندما يتغزل يفقد صبره أمام الجمال فيذوب ذوبان العاشق الولهان، فيروي حكاية حبه المتهالك، فيقول:[3]

وَقائِلَـــةٍ مـــا ذا الشـــحُوبُ وذا الضَّـــنا ... فَقُلْـــتُ لهـــا قَـــوْلَ المَشُـــوقِ المُتَـــيمِ
هَـــواكِ أَتَـــاني وَهُـــوَ ضَـــيْفُ أُعِـــزُّهُ ... فأَطْعَمْتُـــهُ لَحْمـــي وأَسْـــقَيْتُهُ دَمـــي

(1) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، ص 117.
(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 44.
(3) المصدر نفسه: ص 143.

فقد تغير لونه عندما رأى ذلك الجمال، فأصبح متلهفًا عليها وقلبه يشتعل شوقًا إليها فجعل لحمه ودمه طعاما لسرطان الحب الذي تهافت على جسمه يأكله.

وفي بيت آخر يصور جمال محبوبته فيقول:[1]

بِفَـــــرْعٍ وَوَجْـــــهٍ وَقَـــــدٍّ وَرِدْفِ كَلَيْـــلٍ وَبَـــدرٍ وَغُصْـــنٍ وَحِقْـــفِ

فالمرأة عنده هي المثال الذي يصبو إليه، ومن خلال تمثيل جمالها فإنّه يصوره تصويرًا دقيقًا فيجعل شعرها كالليل في سواده ووجهها مثل البدر في ضيائه، وغيرها من المواصفات الأخرى.

إذن فـ "ابن رشيق" عندما يتغزل بالمرأة، يصور عواطفه بأبيات عذبة بعيدة عن المعاني المسفة والألفاظ البذيئة، فيصفها وصفًا ماديًا غير أنّه لا يسف في وصفه بل يكتفي بما يراه جمالًا في أعضائها، فيظهر بذلك حسه الأدبي المرهف وعفته التي تدل على حسن سلوكه وسيرته.

ثانيا/ مظاهر المجون واللهو في شعره:

المجون ظاهرة قديمة في الشعر العربي، تناولها العديد من الشعراء خاصة الذين عاشوا في بلاطات الملوك والأمراء؛ حيث كانت حياة الترف والبذخ والنعيم، وتضم هذه الظاهرة في مضمونها موضوعات مختلفة، كوصف الخمر ومجالس اللهو، ووصف المرأة والغلمان والتّغزل بهم.

ونجد الدكتور "عبد العزيز نبوي" يتحدث على هذا النوع من الشعر الذي انتشر وذاع صيته عند أغلب الشعراء ومنهم شعراء المغرب العربي، فيقول: « يشغل شعر الغزل

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان ص 107.

والمجون واللهو والخمريات حيزا ضخما من الشعر المغربي القديم »[1]، ويعد المجون من الأغراض التقليدية التي اهتم بها الشعراء، وقد جاء تعريفه لغة واصطلاحا في العديد من القواميس والمعاجم والكتب العربية القديمة والحديثة.

1/ تعـريـف المجـون:

فقد ورد المجون في القاموس المحيط بقول: « مَجَنَ مُجوناً: صَلُبَ وغَلُظَ، ومنه الماجِنُ، لمن لا يُبالي قَوْلاً وفِعْلاً، كأنه صُلْبُ الوجهِ »[2].

أما في معجم النقد العربي القديم فقد جاء بـ « مجن الشيء يمجُنُ مجوناً: إذا صلب وغلظ، ومنه اشتقاق «الماجن » لصلابة وجهه وقلة استحيائه. والمجون: أن لا يبالي الانسان بما صنع »[3].

والماجن هو « الفاسق، وهو أن لا يُبالي بما يقول ويفْعل، وتكون أفعاله على نَهْج أفعال الفُساق »[4]، والماجن هو الخلِيع وهي « صفة لكل مؤلَّف أدبيّ يهتم بإبراز النواحي الجنسية البَحْتة في الحُبْ »[5].

وفي موضع آخر نجد أنَّ « الماجن عند العرب هو الذي يرتكب المقابح المردية والفضائح المخزية، ولا يمضه عذل عاذل ولا تقريع من يقرعه »[6].

(1) نبوي، عبد العزيز: محاضرات في الشعر المغربي القديم، (د.ط)، مطابع مؤسسة الكرمة، الجزائر، 1983م، ص 78.
(2) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص 1233.
(3) أحمد مطلوب: معجم النقد العربي القديم، (ط1)، ج2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ص 253.
(4) الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، ص 165.
(5) مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (ط2)، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص 322.
(6) هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، (د.ط)، دار المعارف، 1963م، ص 203.

إذن: يمكن أن نقول بأنَّ المجون هو « ارتكاب الأعمال المخلة بالآداب العامة والعرف والتقاليد دون تستر أو استحياء »[1]، وعند أحمد مطلوب هو « الأدب المكشوف، وقد اشتهر به بعض الأدباء في القديم »[2].

من التعاريف السابقة يمكن القول بأنَّ المجون ظاهرة تقليدية عُرفت عند العرب منذ القديم، وهي كل الأقوال والأفعال التي تصدر عن الإنسان الذي لا يبالي بما يقول أو يفعل دون استحياء أو تستر، وقد شاعت ظاهرة المجون عند أغلب الشعراء وظهرت من خلال أعمالهم الأدبية، وتتجسد خاصة في الشعر الذي يعد المنبع الأول للتعبير عن المشاعر والهواجس التي تختلج في نفس الشاعر، و"ابن رشيق" من الشعراء الذين استهواهم هذا النوع من الشعر وسنرى ذلك من خلال أعماله التي جاءت في ديوانه الشعري.

2/ شخصيته في الغزل الماجن بالمرأة:

أما في هذا الجانب فنجد "ابن رشيق" يتحدث عن المرأة ويتغزل بها تغزلًا إباحيًا ماجنًا ويصور عواطفه المتأججة حولها في مجلس الخمر، فيقول:[3]

وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِيَ لَيْلَةٌ مِنَ الْعُمْرِ لَمْ تَتْرُكْ لِأَيَّامِهَا ذَنْبَا
خَلَوْنَا بِهَا نَنْفِي الْقَذَى عَنْ عُيُونِنَا بِلُؤْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكْبَا
وَمِلْنَا لِتَقْبِيلِ الثغُورِ وَلَثْمِهَا كَمِثْلِ جُنُوحِ الطَّيْرِ تَلْتَقِطُ الْحَبَّا

يصور في هذه الأبيات ليلة من عمره لم يفكر فيها بحساب أو عقاب، يبعد النعاس من عينيه ويصرفه بشرب الخمر من أجل التمتع بتقبيل ثغور الفتيات واللهو معهن.

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 203.
(2) أحمد مطلوب: معجم النقد العربي القديم، ص 253.
(3) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 38.

وعرف "ابن رشيق" بأنَّه قليل التدين، وهو الذي صرح بهذا ويجد مشقة في الالتزام ببعض الواجبات الدينية، قائلًا:[1]

إنّـــــي لَقِيـــــتُ مَشَـــــقَّهْ فابْعَـــــثْ إِلَـــــيَّ بِشُـــــقَّهْ

كَمِثْـــــلِ وَجْهِـــــكَ حُسْـــــنًا وَمِثْـــــلِ دينـــــي رِقَّـــــهْ

والمعنى من وراء البيتين هو أنَّ "ابن رشيق" يطلب الشقة وهي رمز لجارية حسناء الوجه رقيقة الدين غير مبالية به، من أجل التمتع بها وإزالة تعبه الذي حلَّ به.

ويعبِّر أيضًا عن إحساسه اتجاه المرأة في صورة تقليدية، لذلك يتغنّى بحسّها فيجد السلام والدفء بقربها، فيقول:[2]

فَكَّـــرْتُ لَيْلَـــةَ وَصْـــلِها فـــي صَـــدِّها فَجَـــرَتْ بَقايـــا أَدْمُعـــي كالْعَنْـــدَمِ

فَطَفِقْـــتُ أَمْسَـــحُ مُقْلَتـــي فـــي نَحْرِهـــا إِذْ عـــادَةُ الكـــافُورِ إِمْســـاكُ الـــدَّمِ

يحكي قصته حين جاءته محبوبته و« همت بصده، وهو صريح في أنَّه لقيها وضمها ومسح مقلتيه في نحرها فعل الماجن الذي لا يبالي »[3] بما يفعل أو يصنع.

من خلال المقطوعات السابقة يبدو أنَّ "ابن رشيق" لا يبالي بما يقول أو يفعل فهو يصف اللقاءات وصفًا ماجنًا، ويصور ليالي الوصل تصويرًا مستفيضًا، مصرحًا بذلك فما يهمه هو إشباع لذته وغريزته وهذا ما يوحي بشخصيته الماجنة المستهترة التي لا تُقِيم للدين وزنًا أو اعتبار.

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 110.

(2) المصدر نفسه: ص 147.

(3) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 258.

3/ شخصيتــه فــي الغـزل بالمذكـر:

تحدثنا سابقًا عن الغزل وبالرغم من أنَّه موجه أصلًا إلى المرأة، غير أنَّ "ابن رشيق" شذَّ عن هذه القاعدة مثل بعض الشعراء، وقد طغى الغزل بالمذكر على فنّه، و « بلغ المدى في الشعر الإباحي الماجن »[1]، فنجده يغالي في التغزّل والوصف، ومن ذلك ما قاله في محبوب له:[2]

عَزِيــزٌ يُبــارِي الصُّــبْحَ إِشْــراقُ خَــدِّهِ وَفــي مَفْــرِقِ الظَّلْمــاءِ منْــهُ نَسـيبُ
يَــزِفُّ إِلَيْــهِ ضــاحِكًا أُقْحُوانُــهُ وَيَهْتَــزُّ فــي بُرْدَيْــهِ منْــهُ قَضــيبُ

فيجعل إشراقة وجهه أكثر ضياءً من إشراقة الصباح ويجعل من شعره الأسود يثير فيه النسيب، ثم يشبه ثغره الضاحك بالأقحوان وجسده اللين بالغصن حين اهتزازه.

ويقول في محبوب آخر:[3]

وَأَهْــوى الَّــذي أَهْــوَى لَــهُ الْبَــدر ســاجِدًا أَلَسْــتَ تَــرَى فــي وَجْهِــهِ أَثَــرَ التُّــرْبِ

يصف "ابن رشيق" عشقه وهواه لمحبوبه الذي سجد له البدر إجلالاً واعترافا له بالتفوق، ودلالة ذلك أن البدر علق به التراب من أثر السجود.

وقال في محبوبه الصائغ بعد أن كتم حبه له، وقد أفرد له العديد من القصائد فأبدع فيها:[4]

(1) نبوي، عبد العزيز: محاضرات في الشعر المغربي القديم، ص 87.
(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 41.
(3) المصدر نفسه: ص 42.
(4) المصدر نفسه: ص 46.

لِـمْ بـاحَ باسْـمِي بَعْـدَما كَـتَم الْهَـوَى زَمَنًـا وَكـانَ صِـيانَتي أَوْلـى بـهِ
فَلَأَمْـنَعَنَّ جُفُونَـهُ طِيـبَ الْكَـرَى وَلَأَمْـزِجَنَّ دُمُوعَـهُ بِشَـرابِهِ
وَحَيَـاةِ حاجَتِـهِ إلَـيَّ وَفَقْـدِهِ لَأُواصِـلَنَّ عَذَابَـهُ بِعَذَابِـهِ

فـ "ابن رشيق" كان يكتُمُ حبه إلى أن جاءه "أبو عبد الله الصفّار الصقليّ" فأخبره عن هذا الغلام فقال له: « يا أبا عبد الله، إنَّ ها هنا بالقيروان غلامًا قد برَّح بي حبُّه واستولى عليّ كَرْبُهُ، منذ عشرة أعوام »[1]، ويكمل "ابن رشيق" حديثه إلى أن قال فيه:[2]

وَأَسْـمَرِ اللَّـوْنِ عَسـجَدِيٍّ يَكـادُ يَسْـتَمْطِر الجَهامـا
ضَـاقَ بِحَمْـلِ الْعِـذارِ ذرْعًـا كـالمُهْرِ لا يَعْـرِفُ اللِّجامـا
وَنَكَّـسَ الـرَّأسَ إِذْ رَآنـي كآبَـةً وَاكْتَسـى احْتِشـاما
وَظَـنَّ أَنَّ الْعِـذارَ مِمَّـا يُـزيحُ عَـنْ قَلْبِـيَ الْغَرامـا
وَمـا دَرى أَنَّـهُ نَبـاتُ أَنْبَـتَ فـي جِسْـمِيَ السَّـقاما
وَهَـلْ تَـرى عارِضَـيْهِ إلاَّ حَمـائِلًا حُمِّلَـتْ حُسَـاما

وما زال "أبو عبد الله الصقلي" يتردد على "ابن رشيق" يلاطفه إلى أن أطلعه « على سرائرِهِ مع ذلك الغلام »[3]، ولمَّا علم الغلام بأنَّ "ابن رشيق" باح بالسر كتب إليه برسالة يقول فيها: « بسم الله الرحمان الرحيم، كتمانُ السرِّ حيلةُ القلب، فإن أزاله بقي عاطلًا »[4]، وعندما قرأها "ابن رشيق" قال قصيدته السابقة والتي جاء فيها على لسان الغلام بأنَّه سينتقم

(1) الشنتريني ابن بسام: الذخير في محاسن أهل الجزيرة، ص 600.
(2) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 134.
(3) الشنتريني ابن بسام: الذخير في محاسن أهل الجزيرة، ص 601.
(4) المصدر نفسه: ص ن.

منه وذلك بحرمان جفونه من النوم، ويجعله يبكي ندمًا على ما فات، ويقسمُ بحاجته إليه أنَّه سيستمر بالانتقام منه.

أما في قصيدته الأخيرة فقدم "ابن رشيق" اعتذاره، يقول:[1]

وَظَبْـــيٍ مِـــنْ بَنـــي الْكُتَّـــابِ يَسْـــبي قُلُـــــوبَ العاشِـــــقينَ بِمُقْلَتَيْـــــهِ
رَفَعْـــتُ إِلَيْـــهِ أَسْتَقْضـــي رِضـــاهُ وَأَسْـــأَلُهُ خَلاصًـــا مِـــنْ يَدَيْـــهِ
فَوَقَّـــعَ قَـــدْ رَدَدْتُ فُـــؤَادَ هَـــذا مُسَـــامَحَةً فـــلا يُعْـــدَى عَلَيْـــهِ

بدأ "ابن رشيق" اعتذاره بالغزل، ثم يقول بأنَّه التمس رضاه وسأله النجاة فعفا عنه الغلام ورد له فؤاده، بعد أنْ عانى الألم من صدّ الحبيب وهجرانه.

وهو في حبّه لا يأبه الملامة من أحد، فيأبى التستّر ويخلع عذاره ويتهتّك في بعض قصائده متأثرا بمحيطه، فيقول:[2]

وَمُهَفْهَـفٍ يَحْميـهِ عَـنْ نَظَـرِ الْـوَرَى غَيـرانُ سُـكْنَى الْمُلْـكِ تَحْـتَ قِبَابِـهِ
أَوْمـــا إِلَـــيَّ أَنِ ائْتِنـــي فأَتَيْتُـــهُ وَالفَجْـــرُ يَرْمُـــقُ مِـــنْ خِـــلالِ نِقابِـــهِ
وَضَـــمَمْتُهُ لِلصَّـــدْرِ حَتَّـــى اسْـــتَوْهَبَتْ مِنِّـــي ثِيـــابي بَعْـــضَ طِيْـــبِ ثِيابِـــهِ
فَلَثَمْـــتُ خَـــدًّا مِنْـــهُ ضَـــرَّمَ لَـــوْعَتي وَجَعَلْـــتُ أُطْفـــي حَرَّهـــا بِرُضـــابِهِ
فَكَـــأَنَّ قَلْبـــي مِـــنْ وَراءِ ضُـــلوعِهِ طَرَبًـــا يُخَبِّـــرُ قَلْبَـــهُ عَمَّـــا بِـــهِ

يحكي قصته مع محبوبه بعد أن وصفه بضمور البطن ودقة الخصر، يقول أنَّه « أشار إليه بطرف العين أن يأتيه في منزله آخر الليل في خفية من الرقباء وقد حقق أمله،

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 174.
(2) المصدر نفسه: ص 46.

وتحدث عما كان بينهما »[1]، من تقبيل وعناق حتى استوهبت ثيابه من طيب ثياب المحبوب.

والغزل هو إبراز لعناصر الجمال ومؤثراته، وذلك بأن يصف عضوًا من أعضاء الجسد كالوجه والخد والثغر، وهذا ما كان يصبو إليه "ابن رشيق" فيقول في مشوق مليح:[2]

مُعْتَـــــدِلُ القَامَـــــةِ وَالقَـــــدِّ مُـــــوَرَّدُ الْوَجْنَـــــةِ وَالْخَـــــدِّ
لَـــوْ وُضِـــعَ الْـــوَرْدُ علـــى خَـــدِّهِ مَـــا عُـــرِفَ الْخَـــدُّ مِـــنَ الْـــوَرْدِ
قُـــلْ لِلَّـــذي يَعْجَـــبُ مِـــنْ حُسْـــنِهِ اقْـــرَأْ عَلَيْـــهِ سُـــورَةَ الْحَمْـــدِ

يصف محبوبه بأنَّه رشيقٌ ضامر القد، في وجنته وخده ينبت الورد، ولو رأيته ما عرفت الخدَّ من الورد لدقة تشابههما، ثم يطلب من كل معجب بحسن ذلك المحبوب أنَّ يرقيه بسورة الحمد.

وقال متغزلًا أيضًا:[3]

وَفـــاتِنِ الْأَجْفـــانِ ذي وَجْنَـــةٍ كَأَنَّهـــا فـــي الْحُسْـــنِ وَرْدُ الرِّيـــاضْ
قُلْـــتُ لَـــهُ يـــا ظَبْـــيُ خُـــذْ مُهْجَتـــي دَاوِ بِهـــا تِلْـــكَ الْجُفُـــونَ الْمِـــراضْ
فَجَاوَبَـــتْ مِـــنْ خَـــدِّهِ خَجْلَـــةُ كَيْـــفَ تَـــرى الْحُمْـــرَةَ فَـــوْقَ الْبَيـــاضْ

فـ "ابن رشيق" عندما يتغزّل يذوب رقّة وتذوب جوارحه في ألفاظه، وكأنَّ نار الهوى لم يطفئها معتدل القامة لحسن وجنته وبهاء طلته، فراح يشبه وجنة محبوبه فاتن الأجفان هو الآخر بورد الرياض في النضارة والاحمرار، ويهديه مهجته ليداوي جفونه المراض، ثم يُنْطِقُ

(1) عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، ص 69.
(2) ابن رشيق لقيرواني: الديوان، ص 68.
(3) المصدر نفسه: ص 89.

خدَّ محبوبه الخَجِل الذي يسأله بقوله كيف ترى حمرة الوجنة فوق بياض الخدّ، وبسؤاله هذا يزيده من حرَّ الشوق والقرب إليه.

وقال في إيماء المعشوق بالتسليم اختلاسا:[1]

أوْمَـــى بِتَســـليمَةِ اخْـــتِلاسٍ وَالنَّـــاسُ فـــي حَوْمَـــةِ الـــوَداعِ
أحلـــى وَإنْ لَـــم يَكُـــنْ سَـــماعًا مِـــنْ نَغَـــمِ الزَّمـــرِ وَالسَّـــماعِ
وَقَـــدْ نـــوَتْ مُقْلَتـــاهُ نَوْمًـــا وَدِدْتُ لَـــوْ كـــانَ فـــي ذِراعـــي
وَكـــانَ لـــي مَوْقِـــفُ افتِـــراقٍ وَلِلهَـــوى مَوقِـــفُ اجْتِمـــاعِ

بينما النَّاس مشغولون بالوداع يصف "ابن رشيق" تغزّله بالحبيب وصفًا حسيًا دقيقًا فيصوره حينما ألقى له التحيّة خِلسةً، وقد كان سلامه أفضل وأحلى من نغم المزمار ومن سماع الغناء، ثم يصف حال جفنيه الناعسين اللذين أشعلا نار فؤاده فودّ أن يضمه إليه ليغفو على ذراعيه، ولمَّا حان وقت الفراق أحسا باجتماع هواهما وتوحد قلبيهما.

وقد تحدث أيضًا عن فرط « الصبابة والشوق، وزفرات العشق الملتهبة »[2]، فقال في غلام أحبّه:[3]

إِنْ كُنْـتَ تُنْكِـرُ مـا فيْـكَ ابْتُلِيـتُ بِـهِ فَـــإِنَّ بُـــرْءَ سَـــقامي عَـــزَّ مَطْلَبُـــهُ
أَشِـرْ بِعُـودٍ مِـنْ الْكَبْرِيـتِ نَحْـوَ فَمِـي وانْظُـــرْ إِلـــى زَفَراتـــي كَيْـــف تُلْهِبُـــهُ

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 99.
(2) المصدر نفسه: ص 14.
(3) المصدر نفسه: ص ن.

يحكي عن زفرات الشوق الملتهبة بداخله، وأنَّ شفاءه منها صعب المنال، ثم يقول لمحبوبه الذي ينكر ما حلَّ به، إنْ كنت تريد معرفة ما بداخلي من هوى وشوق يعتريني فأشر بعود كبريت نحو فمي وسترى زفراتي الملتهبة كيف تشعله.

وقد وصل "ابن رشيق" إلى حد الافحاش في القول فيصف موقفًا وصفًا إباحيًا شهوانيًا غريزيًا، فيقول:[1]

وَبِـــتُّ طُـــولَ لَيْلَتِـــي أَلُوطُـــهُ أَفْتقُـــــهُ كـــــأَنَّني أَخِيطُـــــهُ

في هذا البيت يَظهر المعنى الحقيقي للمجون عنده فيذكر ليلة قضاها يلوط بمحبوبه؛ حيث يصور لنا ليلة الوصل تصويرًا ماجنًا مستفيضًا، فقد تعدى حدود التغزل بالمذكر إلى القيام بهذا الفعل المشين الذي تأنف الحيوانات عن فعله.

ويقول أيضًا:[2]

أَحْمِـــلُ أَثْقَـــالي عَلـــى رِدْفِـــهِ وَأُمْسِـــكُ الْخَصْـــرَ لِـــئَلَّا يَضـــيعْ

في هذا البيت يصف أيضًا مشهدًا ماجنًا، يذكر فيه مداعبته لمحبوبٍ له وكيف يجلس على ردفه ممسكا به من خصره حتى لا يفلت منه، وهي صورة دقيقة للمجون.

ويقول كذلك في محبوب:[3]

إِنْ زارَنـــي يَوْمًـــا علـــى خَلْـــوَةٍ أو زُرتُـــهُ فـــي مَوْضِـــعٍ خـــالِ
كُنْـــتُ لَـــهُ رَفْعًـــا علـــى الابْتِـــدا وكـــانَ لـــي نَصْـــبًا علـــى الْحـــالِ

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 92.
(2) المصدر نفسه: ص 94.
(3) المصدر نفسه: ص 131.

ففي هاذين البيتين يصف لقاءه بمحبوبه وصفًا ماجنًا كذلك، فيصور ما يمكن أنْ يفعله مع محبوبه لو اختلى به بعيدًا عين أعين النَّاس.

وفي بعض الأحيان تكون عاطفته رقيقة متأججة تغلب عليها لذة التقبيل، وما أحوجه إلى ذلك حتى تنطفئ نار صبابته المشتعلة فيحكي قصة جرت، يقول فيها:[1]

قَبَّلَنـــــي مُحْتَشِـــــمًا شـــــادِنُ أَحْـــوَجُ مـــا كُنْـــتُ لِتَقْبِيلـــهِ

أَمـــــاتَ إذْ حَيَّـــــا بِأُتْرُجَّـــــةٍ عَرَفْـــتُ فيهـــا كُنْـــهَ تأْوِيلِـــهِ

لَمَّـــــا تَطَيَّـــــرتُ بِمَعْكوسِـــــها ضَـــمَّتْ بَنانًـــا نَحْـــوَ تَعْلِيلِـــهِ

لقد بالغ "ابن رشيق" في حد الوصف والتغزّل بالمذكر فجاءت معظم قصائده في هذا الغرض الذي يعبر عن شخصيته المفرطة في المجون، وذلك من خلال وصفه وتغزّله بالغلمان الذي ينتهي بالوصول إلى اللذة والمتعة عن طريق العناق والتقبيل واللقاءات المباحة والوصال غير المتوقع وغيرها من مشاهد الإثارة.

4/ شخصيتــه فــي الخمــرة:

مما لا يختلف فيه أنَّ ظاهرة شرب الخمر ومعاقرتها قديمة، تعود في كل فترة إلى أسباب مختلفة، وقد نظَم العديد من الشعراء قصائدهم في هذا النوع من الشعر فسمي شعر اللهو والترف أو الخمريات، وشغلت هذه الأخيرة حيزًا لابأس به من قصائد "ابن رشيق" فقال في « قدر المدامة، وطلبها صرفة من غير مزج، وقال في تعتيقها؛ ووصف حبابها الذي يعلوها، ووصف الكؤوس والزجاجات، والقهوة التي تحيل البخيل كريمًا» [2].

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 132.

(2) عبد الرحمان ياغي: حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، ص 319.

فقال في المدامة:[1]

قَــدْرُ الْمُدامَــةِ فَــوْقَ قَــدْرِ المــاءِ فَارْغَــبْ بِكاسِــكَ عَــنْ سِــوَى الْأَكْفــاءِ
مَــا لــي وَمَــزْجُ الــرَّاحِ إِلَّا فــي فَمِــي بِــالرِّيقِ مِــنْ فَــمِ غَــادَةٍ حَسْــناءِ
ذَاكَ المِــزَاجُ وَإِنْ تَعَــدَّاني الَّــذي فــي المُــزْنِ مِــنْ ذِي رِقَّــةٍ وَصَــفاءِ
أَشْــهَى وَأَبْلَــغُ فــي الْفُــؤَادِ مَســرَّةً مِــنْ غَيْــرِهِ وَأَدَبُّ فــي الْأَعْضــاءِ
لــي الصِّــرْفُ إِنْ فَــرِحَ النَّــديمُ وَلَــمْ أَكُــنْ مُسْــتَأْثِرًا فِيهــا عَــنِ النُّــدَماءِ

سلك "ابن رشيق" مضمار اللهو والشراب، فراح ينزه كأسه عن كل شيء ويعلي من شأنها على الماء، فهو يريد أن يتلذذ بالخمرة فمزجها بريق فتاة من أجل إشباع نشوته ومن أجل أن تبعث في نفسه الشعور بالمرح والسعادة، معترفًا بفضلها في الترويح عن النفس.

وقال في الخمر:[2]

قُلْــتُ لِمَــنْ نــاوَلَني مُــزَّةً مــا بِــيَ حُــبُّ الْغِيــدِ بَــلْ حُبُّهــا
لا تَسْــقِني لِلــرَّاحِ مَمْزُوجَــةً وَاشْــرَبْ فَمــا يُمْكِنُنــي شُــرْبُها
مــا رَاحَتــي فــي الــرَّاحِ إِنْ غُيِّــرَتْ دَعْهــا كَمــا جَــاءَ بِهــا رَبُّهــا

يظهر "ابن رشيق" تعلقه الشديد بالخمرة، فهام بحبها وفضلها على الفتيات الناعمات ويطلب من الساقي أن يأتيه بالرَّاح صرفة، وهي الخمرة الخالصة من كل شيء من غير مزج.

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 35.
(2) المصدر نفسه: ص 42.

وقال في الخمر أيضًا:[1]

مُعَتَّقَـــةٌ يَعْلـــو الْحَبـــابُ مُتونَهـــا فَتَحْسِـــبُهُ فيهـــا نَثيـــرَ جُمـــانِ
رَأَتْ مِـــنْ لُجَـــيْنٍ راحَـــةً لِمـــديرِها فطافَـــتْ لَـــهُ مِـــنْ عَسْـــجَدٍ بِبَنـــانِ

يقول "ابن رشيق" عن هذه الخمرة بأنَّها طيبة، وهذا يدل على أنَّها عريقة الأصل تطفو الفقاقيع على سطحها، كأنَّها حبات اللؤلؤ المتناثرة، يصفها بذلك لتعلقه الشديد بها.

وقال في وصف الكؤوس:[2]

بِكُـــؤُوسٍ حَكَـــيْنَ مِـــنْ شَـــفِّ قَلْبِـــي شَـــفَةً لَـــمْ تَـــذُقْ وَثَغْـــرًا وَريقـــا

ويتفنن "ابن رشيق" في تزيين مجلس الخمر بذكر الكؤوس؛ لأنَّها تزيد من جمال الخمرة ولذتها عند ملامستها للشفاه والثغور.

وقال في القهوة التي تحيل البخيل كريما:[3]

قُـــمْ فاسْـــقِيني قَهْـــوةً اذا انْبَعَثَـــتْ فـــي باخِـــلٍ جـــادَ بالَّـــذي مَلَكَـــهْ
كَـــأَنَّ أَيْـــدي الرِّيـــاحِ مُـــذْ بَسَـــطَتْ فـــي مَتْنِـــهِ أَظْهَـــرَتْ لنـــا حُبُكَـــهْ

يقصد "ابن رشيق" بالقهوة الخمرة الحادة؛ لأنَّ شاربها يُقهى عن الطّعام؛ أي لا يشتهيه وإذا شرب منها البخيل تذهب همومه فيجود بما يملكه.

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 154.
(2) المصدر نفسه: ص 109.
(3) المصدر نفسه: ص 115.

إذن: فشعر الخمر هو شعر اللهو والترف، وقد اتخذه "ابن رشيق" كمسلك لإثارة قريحته وإشباع نشوته، فبلغ به الحد إلى المجون والإباحة فراح يصفها بذكر مختلف أسمائها والكؤوس التي تقدم فيها، معلنًا أنَّ حبه كله لهذه الخمرة.

5/ شخصيتــه فــي مجلـس المجـون واللهـو:

وقد انتشرت مجالس اللهو والمجون التي يديرها السقاة من الغلمان الذين يتيحون أكبر قدر من اللذة والمتعة، خاصة وأنَّ لهم من الجمال الخِلْقي الذي يستطيعون به تحريك القلوب الضعيفة، والنفوس الشهوانية، و"ابن رشيق" ممن سُلب قلبه ومال إلى هذا النوع من الغلمان فنظم العديد من المقطوعات، فيقول في ساقٍ مليح متغزلًا به:[1]

وَرُبَّ ســـــاقٍ لَنـــــا مَلـــــيحٍ لَحْظِـــي علـــى وَجْهِـــهِ حَبـــيسُ

بَـــــدْرُ وَلكنَّـــــهُ قَرِيـــــبُ ظَبْـــــيُ وَلكِنَّـــــهُ أَنِـــــيسُ

إِلاَّ يَكُـــــنْ قَـــــدُّهُ قَضـــــيبًا فَمـــــا لِأَعْطافِـــــهِ تَمـــــيسُ

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أنَّ هذا النوع من الغزل لا يختلف في جوهره عن الغزل الأنثوي في طريقة تصوير الأوصاف الجسدية، فيصف "ابن رشيق" إعجابه بهذا الساقي وانبهاره بسحر جماله فشبهه بالبدر، وشبه رشاقة قوامه بالقضيب لينًا ودقةً.

ويقول في ساقي مدام آخر:[2]

وَشَـــــرِبْتُها مِـــــنْ راحَتَـــــ ـــــيْهِ كأنَّهـــــا مِـــــنْ وَجْنَتَيْـــــهِ

وكأَنَّهـــــا فـــــي فِعْلِهـــــا تَحْكـــــي الَّـــــذي فـــــي ناظِرَيْـــــهِ

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 86.

(2) المصدر نفسه: ص175.

فقد مزج "ابن رشيق" بين مفاتن الغلام وأوصاف الخمرة، فشبه احمرارها بوجنتيه ومدى تأثيرها في النفس عند شربها بسهام عينيه التي تذيب العاشق عند النظر إليه.

ويقول في اللذات داعيا إليها:[1]

بـــاكِرْ إلـــى اللَّـــذَّاتِ وارْكَـــبْ لَهـــا نَجائِـــبَ اللَّهْـــوِ ذَواتَ المِـــراحْ

مـــنَ قَبْـــلِ أَنْ تَرْشُـــفَ شَـــمْسُ الضـــحى رِيـــقَ الْغَـــوادي مِـــنْ ثُغـــورِ الْأَقَـــاحْ

يدعو "ابن رشيق" نفسه وغيره إلى الإسراع في طلب اللذات، راكبًا لها نجائب اللهو والمرح قبل أن يسبقه إليها أحد حتى شمس الضحى.

في الأبيات السابقة يمزج "ابن رشيق" بين الخمرة والتغزل بجمال ساقيها، ويدعو نفسه وغيره الاستباق إلى اللَّذَّات والبكور لها، ومن يسلك الطريق إلى ارتكاب المعاصي ويزينها لنفسه ولغيره غير مبالٍ بعواقبها، فهو ماجن وصاحب شخصية غير سوية.

ثالثا/ عبثيـة ابـن رشيـق:

نجد في شعر "ابن رشيق" بعض القصائد التي مزج فيها بين الثنائية الضدية الاعتدال والمجون، فيصرّح هو نفسه أنّه عاش حياة العبث والمجون لاهيًا في مجالسها فيقول:[2]

قَرَعْـتُ سِـنِّي علـى مـا فـاتَني نَـدَمًا مِـنَ الشَّـبابِ وَمَـنْ بـاللَّهْوِ للشِّـيبِ

فَقَـــدْ رَدَدْتُ كُـــؤُوسَ الـــرَّاحِ مُتْرَعَـــةً عَلـــى السُّـــقاةِ وَكانَـــتْ جُـــلَّ مَشْـــرُوبي

أُنَـــزِّهُ السَّـــمْعَ وَالْعَيْنَـــيْنِ فـــي نَغَـــمٍ وَمَنْظَـــرٍ عَابِـــثٍ بِالْحُسْـــنِ والطِّيـــبِ

مِـــنْ كُـــلِّ لافِظَـــةً بالـــدُّرِّ باسِـــمَةٍ عَنْـــهُ مُحَـــلَّاةِ نَـــوْعٍ مِنْـــهُ مَثْقـــوبِ

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 58.

(2) المصدر نفسه: ص43.

أَيَّـــامَ تَصْـــحَبُني الغِـــزْلانُ آنِسَـــةً هـذا علـى أَنَّنـي أَعْـدَى مِـنَ الـذِّيبِ

يقر "ابن رشيق" ندمه على ما فات من لهو وعبث في شبابه، مستنكرًا ذلك على نفسه معلنًا توبته وقد حلَّ به الشيب، ويذكر في حين آخر تلك الأيام التي عاشها في شبابه عابثا مع الآنسات الجميلات والحسناوات الناعمات في مجالس اللهو والشراب.

ويقول في هلال رمضان:[1]

لاحَ لـــي حاجِـــبُ الْهِـــلالِ عَشِـــيًا فَتَمَنَّيْـــتُ أَنَّنـــي مِـــنْ سَـــحابِ
قُلْـــتُ أَهْـــلًا وَلَـــيْسَ أَهْـــلًا لِمـــا قُـــلْ تُ وَلَكِـــنْ أَسْـــمَعْتُها أَصْـــحابي
مُظْهِـــرًا حُبَّـــهُ وَعِنْـــديَ بُغْـــضٌ لِعَـــدُوِّ الكُـــؤوسِ والْأَكْـــوَابِ

تعكس هذه الأبيات الوجهة المتناقضة في نفس "ابن رشيق"، فهو ينظر للهلال نظرة تأملية، ويتمنى أن يكون بقربه كسحابة، ومن جهة أخرى يظهر بغضه له لأنَّه العدو الذي يمنع عنه شرب الخمر المحببة لديه.

ويقول في الحج:[2]

وَلَـــمْ أنْسَـــهُ إِذْ قَبَّـــلَ الـــرُّكْنَ خالِيًـــا وَوَضْـعُ فَمـي مِنْـهُ علـى مَوْضِـعِ الْفَـمِ
فأَدْرَكْـتُ مـا فـي الـنَّفْسِ مِـنْ غَيْـرِ ريبَـةٍ وَقَبَّلْتُـــــهُ إِلاَّ تَحَـــــرُّجَ مُحْـــــرِمِ
وَرُحْـــتُ بِحَـــجٍّ كالْجِهـــادِ لأَنَّنـــي جَمَعْـتُ بِـهِ مـا بَـيْنَ أَجْـرٍ وَمَغْـنَمِ

حتى في ركن من أركان الإسلام نجد عبثية "ابن رشيق" حين يحكي قصته مع محبوبه الذي قبله وهو مُحْرم، ثم يشبه الحج بالجهاد؛ لأنَّه جمع فيه ثواب الحج بغنيمة سرت خاطره وأفرحت قلبه، فكانت تلك الغنيمة محبوبًا له.

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص48.
(2) المصدر نفسه: 144.

وعندما يصرّح "ابن رشيق" بأنّه مسلم يقول في محبوب ظالم:[1]

أَهْـــــوَاكَ إِلاَّ أَنَّنـــــــي أَكْـــــتُمُ وَقَلْـــبُ مَـــنْ يَهْـــوى كَمـــا تَعْلَـــمُ

وَكَيْـــفَ أَشْـــكُو حُرُقَـــاتِ الْهَـــوى وَأَنْـــــتَ لا تَرْثـــــي ولا تَـــــرْحَمُ

كَـــــذا بـــــلا ذَنْـــــبٍ وَلا زَلَّـــــةٍ يُقْتَـــلُ هـــذا الرَّجُـــلُ المُسْـــلِمُ

إِنْ كُنْـــتَ لا تَرْضـــى بِقَتْـــلِ امْـــرىءٍ مِـــنْ أَيْـــنَ فـــي خَـــدِّكَ هـــذا الـــدَّمُ

لَـــيْسَ بِمـــأْمُونٍ عَلـــى مُهْجَـــةٍ مَـــنْ كـــانَ فـــي مُقْلَتِـــهِ مِخْـــذَمُ

حَسْـــبُ المُحِبِّـــينَ الَّـــذينَ ابْتُلُـــوا بِالْحُـــبَّ أَنِّـــي واحِـــدٌ مِـــنْهُمُ

فهو يشكو ما يعانيه من حب لمحبوبه الذي كاد أن يحرق قبله شوقًا من هواه معترفًا به، ويصرّح بأنّه مسلم لكنه لا يأبه لهذا لأنَّ الإسلام يحرم ما هو فيه.

من خلال المقتطفات الشعرية السابقة نلاحظ بوضوح عبثية "ابن رشيق" ومجونه خاصة عندما يصرّح هو نفسه بذلك، كما تعكس لنا هذه المقتطفات أدبه المكشوف الذي يدل على قلّة حيائه وضعف الوازع الديني والخلقي في نفسه.

خلاصة:

يمكن القول أنَّ شخصية "ابن رشيق" ذات حس ديني متأصل وغيرة إسلامية، وهذا ما جاء في ثنايا نظراته الشعرية التي تستدعي مواقف معتدلة، من خلال الأغراض التي تطرق إليها في ديوانه من مدح ورثاء وهجاء وحكمة وغيرها، ففي أغلبها كان يبدو معتدلًا ومستقيمًا، سليم الفطرة قوي الشخصية، صريحًا مع نفسه معتزًا بدينه وإسلامه، أما ما كان من مظاهر مجونه وعبثه وخلاعته، فإن صحَّ ذلك عنه ولم يكن نتيجة تلفيق أو وضع لدوافع حسد أو غيرة، فإنَّ ذلك يعود إلى بعض مراحل حياته وخاصة مرحلة شبابه أو بعض الظروف التي دعته إلى الترويح على النفس لا غير، أو استجابة إلى بعض مطالب من

(1) ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص 141.

يرغب في سماع ذلك، وخلاصة القول أنَّ جدّه واعتداله كان يغلب على مجونه وعبثه فقد كان ذلك مجسدًا في شخصيته ذات الحس الإسلامي.

خاتمـــــــــــة

خاتمـــــة:

خطا "ابن رشيق" خطوة نوعية في الغوص إلى عمق البيئة المغربية التي عاش فيها وبخاصة مدينة القيروان، فكانت ملهمته وسلواه والمنهل الذي استقى منه أدبه وشاعريته، وقد كان له إسهامه الواسع في تصويرها وفق منظوره من حيث ما تميزت به من اعتدال واستقامة وما شاع فيها من عبثية اللهو والمجون، فكان لها وقع خاص على شخصيته وهذا ما أكده هذه البحث الذي خلصت من ورائه إلى مجموعة من النتائج تتمثل في:

- كانت القيروان أولى المدن التي تأسست في الإسلام ومعلمًا من معالم الحضارة، وقد كان لها إسهام كبير في صقل وطبع شخصية "ابن رشيق".
- عاش "ابن رشيق" في ثلاث بيئات مختلفة؛ حيث كان لكل بيئة اتجاه خاص ومميز في حياته.
- كان للمشهد السياسي وقعًا كبيرًا على نفسية "ابن رشيق"، وذلك لما شهدته تلك الفترة من اضطراب بسبب الحروب والفتوحات التي أدت إلى خراب القيروان، فكان نتاج ذلك قصيدة نونية مميزة نظمها في رثاء القيروان.
- كانت البيئة الاجتماعية مرآة عاكسة للأوضاع السياسية في المغرب، ونتيجة للفتوحات عاش في القيروان خليط من القبائل العربية، مما أدى إلى اكتساب "ابن رشيق" لمختلف العلوم والمعارف.
- كانت القيروان من أزهى عواصم العالم العربي، فقد بلغت ذروتها ومجدها في عهد الملك "المعزّ بن باديس" كما انتقلت إليها الثقافة المشرقية، فتركزت مختلف الأنشطة العلمية والأدبية فيها.

- استقى "ابن رشيق" ثقافته وعلومه من القرآن الكريم والحديث الشريف، كما أخذ العلوم من كبار العلماء وتشبّع بثقافتهم وظهر ذلك في شخصيته وإنتاجه النثري والشعري.
- يعتبر شعر "ابن رشيق" مرآة صادقة لعصره ولشخصيته، وما امتاز به من تناقضات فكرية وأدبية واجتماعية.
- نظم "ابن رشيق" في العديد من الأغراض الشعرية مثل المدح والرثاء والهجاء وكذا الحكمة والغزل العفيف؛ حيث اتخذ فيها الجانب الأخلاقي بؤرة اهتمام كشفت عن شخصيته المعتدلة السوية، كما نظم في أغراض أخرى مثل الغزل الماجن بالمرأة والغزل بالمذكر والخمريات التي عكست لنا أدبه المكشوف، وخلاعته التي تدل على ضعف الوازع الديني والخلقي عنده.
- وظف "ابن رشيق" في مختلف قصائده ألفاظًا ومعاني دينية وإسلامية دلت على سلوكه الأخلاقي، كما وظف في قصائد أخرى ألفاظًا ومعاني بذيئة تدعو إلى الفسوق والرذيلة، التي تدل على سلوكه غير السوي.
- استطاع "ابن رشيق" أن ينقل لنا بصدق ما اختصت به بيئته وهذا وفق الثنائية الضدية الاعتدال والمجون مستعينًا في ذلك بفنه، الذي كشف لنا شخصيته غير السوية ما بين اعتداله ومجونه ولهوه.
- يختلف "ابن رشيق" عن أصدقاء الخمرة، فقد اتخذ مجالس اللهو للشرب والتغزّل بالمرأة والغلمان، فنجده يعبر عن نفسه في غير نقل ولا تقليد.
- تظهر عبثية "ابن رشيق" في بعض من قصائده التي جمع فيها الثنائية الضدية الاعتدال والمجون، إذ نجده يندم على فعل مشين قام به وفجأة يتراجع عن ندمه.

قائمـــة المصـــــادر والمـــراجـــع

القرآن الكريم: برواية حفص.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا/ المصادر والمراجع:

1/ إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب_ نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري _، (ط1)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م.

2/ حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تح: محمد العروسي المطوي، (ط1)، المطبعة التونسية، 1330ه/1912م.

3/ ابن خلدون، عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، (ط2)، ج1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1988م.

4/ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، (د.ط)، مج2، دار صادر، بيروت، (د.ت).

5/ الدبَّاغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي: معالم الإيمان في معرف أهل القيروان، تصحيح وتعليق: ابراهيم شبوح، (ط2)، ج1، مكتبة الخانجي، مصر،1388ه/1968م.

6/ ابن رشيق القيرواني: الديوان، شرح: صَلاَح الدّين الهَواري وهُدى عَودة، (ط1)، دار الجيل، بيروت، 1416ه/ 1996م.

7/ ـــــــــــــــــــ: الديوان، جمعه وحققه وشرحه: محيي الدين ديب، (ط1)، الدار النموذجية، صيدا، بيروت، 1418ه/1998م.

8/ ـــــــــــــــــــ: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمعه وحققه: محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، (د.ط)، الدّار التونسية للنشر، تونس، 1406ه/1986م.

9/ ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط5)، ج1، 2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م.

10/ ابن رشيق: قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، تح: الشاذلي يحي، (د.ط)، الشركة التونسية للتوزيع، 1972م.

11/ الشنتريني ابن بسام ، أبو الحسن علي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، (ط1)، ق4، مج1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م.

12/ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الجزائر_ المغرب الأقصى_ موريتانيا_ السودان، (ط1)، ج10، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

13/ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات ليبيا_ تونس_صقلية، (د.ط)، ج9، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

14/ عبد الرحمان ياغي: حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، (ط1)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2009م.

15/ عبد الرحمان ياغي: ديوان ابن رشيق القيرواني، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1409هـ/1989م.

16/ عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق القيرواني، (د.ط)، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1964م.

17/ عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق الناقد الشاعر، (د.ط)، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ت).

18/ عبد العزيز الميمني الراجكوتى السلفي: ابن رشيق _ المعز بن باديس_عمران القيروان_حياة ابن رشيق، (د.ط)، المطبعة السلفية، القاهرة، 1343م.

19/ عبد الكريم النهشلي القيرواني: الممتع في صنعة الشعر، تح: محمد زغلول سَلاَمْ، (د.ط)، دار غريب للطباعة، القاهرة، (د.ت).

20/ عبد الله محمد بن محمد الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، (ط1)، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1687م.

21/ ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد: البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، (ط1)، مج1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ/2013م.

22/ علي محمد الصلابي: الدولة الفاطمية، (ط1)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1427هـ/2006م.

23/ عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، (ط2)، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م.

24/ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، (د.ط)، ج17، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م.

25/ القفطيّ، الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف: إِنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط1)، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ/1986م.

26/ قلقيلة، عبده عبد العزيز: النقد الأدبي في المغرب العربي، (ط2)، ج1، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م.

27/ ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب: مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، (ط7)، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1423هـ/2003م.

28/ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية السيد يعقوب ورمضان عبد التواب، (ط3)، ج4، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

29/ كامل محمد محمد عويضة: ابن رشيق القيرواني الشاعر البليغ، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

30/ كرُّو، أبو القاسم محمد: عصر القيروان، (ط2)، دار طلاس، دمشق، 1989م.

31/ المالكي أبو بكر، عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكّوش ومحمد العروسي المطوي، (ط1)، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

32/ محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، (ط3)، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م.

33/ محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، (ط1)، دار المنار، القاهرة، 1408هـ/1988م.

34/ المعزّ بن باديس التميمي الصنهاجي: عُمْدَةُ الكُتَّاب وعدَّة ذوى الألباب، تح: نجيب مايل الهروى وعصام مكية، (ط1)، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ايران، 1409هـ/1367م.

35/ مكي، الطاهر أحمد: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، (ط3)، دار المعارف، القاهرة، 1987م.

36/ نبوي، عبد العزيز: محاضرات في الشعر المغربي القديم، (د.ط)، مطابع مؤسسة الكرمة، الجزائر، 1983م.

37/ هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، (د.ط)، دار المعارف، 1963م.

38/ وهبة الزحيلي: التفسير الوجيز على هامش القرآن، (د.ط)، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ت).

ثانيا/ المعاجم والقواميس:

1/ أحمد مطلوب: معجم النقد العربي القديم، (ط1)، ج2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

2/ الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، (د.ط)، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).

3/ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، (ط8)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م.

4/ مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (ط2)، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

5/ محمد علي جمّاز: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، (ط1)، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2002م.

6/ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

7/ منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، (ط1)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992م

8/ ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، (ط1)، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م.

9/ ياقوت الحموي الرومي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله البغدادي: معجم البلدان، (د.ط)، مج1، 3، 4، 5، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

ثالثا/ الـرسـائـل:

1/ محمد خليل محمود الخلايلة: المصطلح البلاغي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ٤٥٦هـ، (رسالة ماجستير)، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي، 1993/3/7م.

رابعا/ المـوسـوعـات:

1/ عبد الحكيم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة اسلامية، (ط1)، مكتبة الاسكندرية، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.

مـلخـــــــص

ملخص:

تناول هذا البحث الموسوم "الاعتدال والمجون في شعر ابن رشيق القيرواني" عرضًا عن حياة "ابن رشيق" الذي ملأ الدنيا بإسهاماته الأدبية في مجالي الشعر والنثر، وتناولته كتب المؤرخين والدارسين، فمنهم من عدّه مستقيما وأعجوبة زمانه في الاعتدال، ومنهم من رأى فيه انحرافًا واستهتارًا، لذا حاولت تبيّن مدى أصدق الرأيين من خلال شعر "ابن رشيق"، معتمدة على دراسة نماذج من شعره، للوقوف على ملامح شخصيته المتراوحة بين الاعتدال تارة والمجون تارة أخرى.

الكلمات المفتاحية:

الاعتدال، المجون، شعر، "ابن رشيق"، شخصيته.

Résumé:

Cette recherche intitulé "La modération et perversion dans la poésie d'Ibn Rachik El Qayrawani" étudie une exposition de la vie d'Ibn Rachik qui a contribué dans l'essort de la littérature arabe dans les domaines de poésie et prosodie.

Il a été étudié par plusieurs chercheurs qui le considèrent comme modéré tandis que d'autres le classent dans la perversion et l'atteinte à la pudeur, de ce fait, nous avons essayé de décerner ce polémique en analysant des exemples de différentes visées de sa poésie pour pouvoir extraire les caractéristiques de sa personnalité qui est parfois modérée et parfois perversée.

Mots clés:

Modération , Perversion , Poésie, Ibn Rachik , Personnalité.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع.....الصفحة

مقدمـــة.....أ،ب،ج

مدخـــل:

أولا: بيئـــــة الشاعـــــر.....05

1/ البيئة السياسيـــة.....08

2/ البيئة الاجتماعيـة.....12

3/ البيئة الأدبيـــــة.....14

الفصل الأول: الشاعـــر وشعـــره

أولا: التعـــريف بالشاعـــر.....18

1/ مولـــده.....18

2/ نشأتـــه وحياتـــه.....21

3/ شيوخـــه.....25

4/ تلاميـــذه.....30

5/ أثـــاره.....31

6/ وفاتـــه.....34

ثانيا: ابن رشيق الناثـــر.....37

ثالثا: ابن رشيق الشاعـر.....43

الفصل الثاني: تجليات الاعتدال والمجون في شعر ابن رشيق

أولا: مظاهر الاعتدال والاستقامة في شعره.....50

1/ تعريف الاستقامة.....50

2/ شخصيته في المدح.....52

3/ شخصيته في الرثاء.....55

4/ شخصيته في الهجاء.....59

5/ شخصيته في الوصف.....60

6/ شخصيته في الحكمة.....62

7/ شخصيته في أغراض أخرى.....65

8/ شخصيته الغزل العفيف بالمرأة.....70

ثانيا: مظاهر المجون واللهو في شعره.....71

1/ تعريف المجون.....72

2/ شخصيته في الغزل الماجن بالمرأة.....73

3/ شخصيته في الغزل بالمذكر.....75

4/ شخصيته في الخمرة.....81

5/ شخصيته في مجلس المجون واللهو.....84

ثالثا: عبثية ابن رشيق.....85

خاتمــة.....90

قائمة المصادر والمراجع.....93

ملخص.....100

فهرس الموضوعات.....103